

فيما أخبر به النبي صلوات الله عليه من أحوال الوقت

للإمام الحافظ

أبو اليسر عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني

إصدار

جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية — فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة للعلامة الجليل والمحدث النحرير

سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري عليه من الله رحمة الباري

اسمه وكنيته:

هو شيخنا سليل العترة النبوية الطاهرة السيد العلامة محدث المغرب ذهبي العصر الصوفي سيدي أبو اليسر عبد العزيز بن محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغماري الإدريسي الحسني.

نسبه:

يعود نسبه من جهة الأب والأم إلى سيدنا إدريس الأصغر ابن مولانا إدريس الأكبر فاتح المغرب ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن سيدنا علي وفاطمة عليهما السلام كما هو مدون في كتب التراجم وأمه حفيدة الولي الصالح سيدي أحمد بن عجيبة شارح الحكم العطائية.

مولده:

وُلد رحمه الله تعالى في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هجري الموافق له ١٩٢٠رومي بثغر طنجة .

نشأته:

نشأ في رعاية والده وتعاهده منذ صغره فحفظ القرآن الكريم، وكان والده مهتماً به غاية الاهتمام، وذلك بالرعاية والنصح والإرشادات التي قربت إليه الأقصى في كثير من المسائل لما كان عليه من سعة الإطلاع وحسن البيان والتعليم والتبليغ، وكان والده يوصيه وقت الطلب بألا يراجع شيء من الحواشي والتقريرات وقت الطلب ويقول له: إذا حصلت الملكة بالكتاب الصغير في أي فن من الفنون صار الفن كله بكتبه المطولة وحواشيها في متناول اليد يسهل فهمهما، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية الدرقاوية، وأذن له في تلقين وردها المعروف، فله منه الأخذ التام، والمدد الخاص والعام، وقد تلقى كثيراً من المتون الأساسية التي هي أساس التحصيل في العلوم الشرعية مثل الأربعين النووية في علم الحديث ومتن ابن عاشر الذي يشتمل على التوحيد والفقه والتصوف ومتن الجزرية ومورد الظمآن في علوم القرآن و البيقونية ونخبة الفكر في علم مصطلح الحديث و شيء من تفسير البيضاوي والأجرومية في النحو وغيرها من العلوم الأساسية كل ذلك كان برعاية والده وتحت مراقبته في مسجده الكائن بشارع القادرية بمدينة البوغاز المعروفة بطنجة في شمال المغرب.

رحلاته:

الرحلة إلى مصر:

بعد وفاة والده رحمه الله تعالى وحصوله على أمنيته من الدراسة الأولية شرع في ممارسة الدراسة العلمية وذلك عام ١٣٥٥ هجري الموافق له ١٩٣٦ رومي حيث رحل إلى القاهرة من أرض الكنانة واختار دراسة الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فقرأ المنهج في الفقه للشيخ زكرياء الأنصاري بشرحه، ومتن التحرير في الفقه للشيخ زكرياء الأنصاري بشرحه أيضاً، ومتن أبي شجاع في الفقه بشرح تقي الدين الحصني، و تفسير الجلالين جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، والألفية بشرحيها لابن عقيل والأشموني ، والسلم بشرح الناظم والدمنهوري، وألفية العراقي في مصطلح الحديث، ولب الأصول في علم الأصول للشيخ زكرياء بشرحه ، ومتن ايساغوجي في علم المنطق للشيخ زكرياء الأنصاري أيضاً وغيرها من العلوم المتعارف عليها في الأزهر في ذلك الزمان مع كثرة ملازمته للشيوخ خارج الأزهر وذلك عملاً بوصية والده من الإكثار في التلقي ومجالسة

العلماء والأخذ عنهم أينما كانوا وحيثما حلوا والسهر على خدمتهم والتأدب بآدابهم وهو منهج السلف الذي يعتمد عليه كل من أراد أن يصعد سلم الوصول، فسمع صحيح الإمام مسلم من أوله إلى آخره، والأوائل العجلونية وكثيراً من الأجزاء الحديثية .

قام شيخنا رحمه الله بكثير من الرحلات منها رحلته إلى تونس والجزائر وإلى المدن الأندلسية والحرمين الشريفين بالديار الحجازية، وأدى فريضة الحج المقدسة وزار قبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذلك عام ١٤٠١ هجري ثم حج مرة ثانية بيت الله الحرام وكذلك المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عام ١٤٠٣ هجري وأدى سنة العمرة في شعبان عام ١٤٠٤ هجري.

عودته إلى طنجة:

بعد أن ملأ الوطاب واقتنى من العلوم ما عزّ منها وطاب رجع شيخنا رحمه الله إلى طنجة في شهر ربيع الأنور سنة ١٣٦٧ هجري الموافق له ١٩٤٧ رومي وكانت مدة إقامته في مصر نحو اثني عشر سنة .

شيوخه:

تلقى شيخنا صاحب الترجمة على العديد من المشايخ نذكرمنهم :

شيوخه من المغرب:

١- والده الإمام العلامة العارف بالله تعالى القدوة الشيخ سيدي محمد بن الصديق الغماري الحسني الإدريسي.

٢- شقيقه العلامة الحافظ المجتهد السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري فبه تتلمذ في علم صناعة الحديث وتأثر بحفظه ومتانته غاية التأثر وعلى نهجه سار حتى وصل في فن صناعة الحديث إلى أن لقبه البعض بذهبي العصر، وتأثر بكل كتبه لاسيما كتابه فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي.

٣- شقيقه العلامة المفسر المحدث الأصولي إمام العصر المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري.

٤- العلامة المسند الكبير المؤرخ النَسَّابة السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني.

مصر:

١- مسند مصر العلامة المحقق السيد أحمد بن محمد بن عبد العزيز ابن رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي.

٢- العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن محمد الدلبشاني الموصلي الحنفي البصير.

٣- العلامة الشيخ عبد السلام غنيم الدمياطي الأزهري الضرير.

٤- العلامة المعمر الشيخ محسن بن ناصر بن صالح با حربة اليماني الشافعي.

٥- العلامة اللغوي الأديب محمد الخضر بن حسين التونسي.

٦- العلامة البَحَّاثة الشيخ محمد زاهد بن الحسين بن علي الكوثري الحنفي.

الشام:

١- شيخ علماء الشام العلامة بدر الدين بن يوسف ابن بدر الدين البيباني الدمشقي الشافعي.

٢- العلامة القاضي المطلع الرحلة أبو الوفاء خليل بن بدر بن مصطفى بن خليل القرشي المقدسي.

٣- العلامة الشيخ عبد الحسين شرف الدين ابن يوسف الموسوي العاملي الشيعي.

٤- العلامة المؤرخ الأديب البَحَّاثة محمد راغب بن محمود هاشم الطباخ الحلبي الحنفي.

٥- العلامة المشهور صاحب التآليف بوصيري العصر أبو المعالي الجمال يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل النبهاني الفلسطيني.

الحجاز:

١- العلامة الكبير الشيخ أبو البقاء عبد الباقي بن ملا محمد علي بن ملا محمد معين الأنصاري اللكنوي المدني.

٢- العلامة المسند المؤرخ الزاهد الشيخ أبو البركات عبد الله بن محمد غازي الهندي المكي.

٣- محدث الحرمين الشريفين أبو حفص عمر بن حمدان المحرسي التونسي ثم المدني.

٤- مسند الحجاز، مُلحِق الأحفاد بالأجداد، علم الدين محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي الشافعي.

تدريسه:

اشتغل في طنجة بالتدريس والتصنيف مع الاشتغال بالذكر والأوراد والخطابة والتعليم فأقبل عليه الناس من كل صوب وحدب فكان منزله محطة لطلبة العلم مع همة عالية وضيافة تدل على أصله الكريم مع اهتمام مبالغ فيه بالطلبة الغرباء الوافدين فكان لا يمل ولا يكل من مجالستهم وملاطفتهم وإكرامهم فأجاد وأفاد وعلم وربى وأسس ونفع الله به العباد والبلاد على نهج الأوائل من الأكابر والأولياء والصالحين نفعنا الله ببركته وعلومه آمين.

مؤلفاته :

رسم قلمه البارع السيال الكثير من المؤلفات في شتى الموضوعات كلها نافعة نفيسة تدل على بعد نظره وندرة وجود أمثاله إذ كان في أسلوبه على منهج الأوائل يؤسس ويبني وينقض مع علو كعبه في المحافظة على مكانة من كان يخالفهم في النهج العلمي و نذكر من مؤلفاته ما انفرد بها عن غيره وكل ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١- الباحث عن علل الطعن في الحارث.

٢- التحذير من أخطاء النابلسي في تعبير رؤيا فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

٣- الوقاية المانعة من وسوسة ابن العربي في قوله تعالى:(خافضة رافعة).

٤- إثبات المزية بإبطال كلام الذهبي في حديث:(من عادى لي وليا).

٥- مفتاح السعادة بصحة حديث (النظر إلى علي عبادة) أو الإفادة بطرق حديث (النظر إلى علي عبادة).

٦- دفع الضرر عمن يقول بإمكان الوصول إلى القمر.

٧- حكم تحديد النسل.

٨- القول الأسد في إبطال حديث(رأيت ربي في سورة شاب أمرد).

٩- حكم الإقامة ببلاد الكفار وبيان وجوبها في بعض الأحوال.

١٠- ما يجوز ومالا يجوز في الحياة الزوجية.

١١- تحذير الأغبياء من مذهب النشوء والارتقاء.

١٢- مسند سيدة نساء العالمين فاطمة بنت سيد المرسلين.

١٣- التبيان لحال حديث:"أنا ابن الذبيحين" أو كشف الرين عن حديث:(أنا ابن الذبيحين).

١٤- إفادة الأتقياء بما ورد في اطلاع الميت على عمل الأحياء.

١٥- إمامة المرأة المسمى حسن الأسوة بما ورد في إمامة المرأة بالنسوة.

١٦- الأربعين العزيزية فيما أخبر به النبي صلوات الله عليه من أحوال الوقت.

١٧- النفحة الإلهية في شرح الوصية الصديقية.

١٨- السوانح.

١٩- السفينة.

٢٠- تزيين العبارة بتفسير سورة الكوثر بطريق الإشارة.

وله كثير من المؤلفات النافعة من أراد الإطلاع عليها فليراجع ثبته فتح العزيز في أسانيد السيد عبد العزيز للعلامة المحدث الناقد سيدي محمود سعيد ممدوح حفظه الله، وكتاب إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثُلة من علماء المغرب المعاصرين تأليف محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج.

تلاميذه:

جلس بين يدي شيخنا رحمه الله العديد من علماء أهل السنة وغيرهم، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر فضيلة العلامة أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي حفظه الله ، وشقيقه الفقيه الداعية المحدث محمود منصور قرطام الحسيني الشافعي حفظه الله، وفضيلة العلامة الشيخ المحدث المسنَد المكثر من التآليف النافعة سيدي محمود سعيد ممدوح الشافعي حفظه الله، وفضيلة الشيخ العلامة محمد علوي المالكي الحسني رحمه الله، والشيخ محمد عوض منقش الزبيدي، والشيخ إسماعيل عثمان زين، والسيد عمر بن محمد الأهدل، والسيد إبراهيم بن عمر بن عقيل باعلوي، والمحدث الكبير محمد عبد الرشيد بن عبد الرحيم النعماني، والكياهي عبد الحليم جاكرتا، والحاج حسن بصري قاضي كوالالمبور ماليزيا، وغيرهم كثير إذ في الإشارة على هؤلاء ما يغني عن إطالة العبارة.

مواقفه:

للشيخ كثير من المواقف التي تدل على شرفه وعلو مكانته وعدم خشيته في الله لومة لائم منها ما هو سياسي وما هو علمي أدت به إلى أن يوقف عن إعطاء الخطب الجمعية وبقاءه في الدار أحيانا أخرى إذ لا ضير في ذلك إذا علمنا أن أسوته جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقدوته العلماء والأولياء والعارفين وبذلك جرت سنة الله في خلقه وهو المعروف من سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حيث سئل أي الناس أشد بلاءً فقال : "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ". وعلى هذا عاش شيخنا إذ الرجال تعرف بالمواقف والمبادئ لا بسواها.

وفاته:

توفي رحمه الله يوم الجمعة ٦ رجب الفرد سنة ١٤١٨ هجري الموافق له ١٩٩٧/١١/٧ رومي على الساعة الرابعة والنصف مساءاً بعد معاناة طويلة مع مرض عضال، ودفن يوم السبت بعد صلاة الظهر بجوار والديه وشقيقيه عبد الله وعبد الحي بتاريخ ٧ رجب الفرد ١٤١٨ هجري الموافق له ١٩٩٧/١١/٨ رومي، وصُلي عليه في الجامع الكبير بمدينة طنجة المحروسة من بلاد المغرب الأقصى.

رحم الله الجميع رحمة واسعة ونفعنا بعلومهم وبركاتهم وحشرنا في زمرتهم مع الأنبياء والأولياء والصديقين وحسن أولئك رفيقا اللهم آمين .. آمين .. آمين.

تم بحمد الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

تنبيه:

نلفت نظر القارئ إلى صاحب الكتاب مولانا الشيخ رحمه الله وما كان في أفكاره من عام ١٣٩٠هجري الموافق له ١٩٧٠ رومي إلى حين تأليف هذا الكتاب سنة ١٤٠٣ هجري الموافق له ١٩٨٣ رومي، وقد توفي الشيخ عام ١٤١٨ هجري الموافق له ١٩٩٧ رومي وها نحن اليوم في عام ١٤٢٨ هجري الموافق له ٢٠٠٧ رومي، وكيف أن الشيخ نزّل هذه الأحداث قبل هذا التاريخ على واقعنا الذي نعيش فما هو إلا دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآل بيته الأطهار، وأن الأولياء يرون بنور الله ففي الحديث: " اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله"، ونلفت نظر القارئ أيضاً بأننا قد حرصنا بأن نطرح الكتاب على موقعنا كما هو من غير زيادة أو نقصان إلا ما كان من قبيل ترجمة المؤلف لكي يكون القارئ على بينة من هذا العالم الرباني على أن لا يمتنع أن يُلاحظ بعض القُراءِ أن ما في الكتاب لا يتوافق مع آرائهم التي يحملونها لذا نرجو من كل من يطلع على هذا الكتاب أن يكون منصفاً ناصراً للحق، وإذا ما وجد خطأً فليصلحه في الهامش ويبين ذلك ولا يمس أصل الكتاب فقد قال الشاطبي في حرز الأماني :

وإن كـــان خــرقٌ فادركـه بفضـلة   مـن الحـلم وليصلحه مــن جـاد مقولا

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية

١ رجب ١٤٢٨هجري الموافق له ١٥ يوليو ٢٠٠٧ رومي.

بسم الله الرحمن الرحيم

خير ما يفتتح به المقال ويستخرج به من خزائن الجود الإلهي العطاء والنوال حمداً لله تعالى الكبير المتعال، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى الآل:

أما بعد: فهذه أربعون حديثاً فيما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحوال هذا الوقت المظلم وصفات أهله، ونعت ما هم عليه، وما ظهر منهم، وسيظهر من أخلاق ردية، وانحراف عن شريعة الإسلام، وبعد عن أحكامها وإتباعهم لكل ما جاءهم عن أعداء الإسلام من أخلاق، وعادات ومذاهب فاسدة، وأهواء ضالة، وأفكار هدامة.

مما وقع مطابقاً تمام المطابقة لما أخبر به سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وآله.

وقد خرجت هذه الأربعين من كتابي: (عقود الجمان فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحوال هذا الزمان).

ومن كتابي "المجلة النبوية في حوادث الوقت"، وقد اعتنى رجال الحديث بأحاديث الفتن اعتناء بالغاً وأفردوها بالتصنيف كما فعل نعيم بن حماد، وهو من شيوخ البخاري وأبو الشيخ بن حيان، وأبو عمرو الداني وغيرهم من الحفاظ، وكذلك أفردوا لها باباً خاصاً مما ألفوه من الصحاح والسنن.

كما فعل البخاري ومسلم في صحيحيهما حيث أفرد كل منهما باباً خاصاً لأحاديث الفتن وما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أمرها، وأشراط الساعة، وما يظهر في هذه الأمة من المظاهر، والبدع، والمنكرات المخالفة للشريعة.

وتبعهما في ذلك أبو داود، والترمذي وابن ماجه في سننهم، وابن حبان وابن خزيمة والحاكم في صحاحهم. بل ما كتب محدث كتاباً ولا جمع مصنفاً إلا وأفرد فيه باباً لهذه الأحاديث لأنها من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البالغة وعلم من أعلام نبوته الباهرة، التي يزداد المؤمن بالوقوف عليها إيماناً ويقيناً وتصديقاً، وتملأ قلبه نوراً وخشوعاً وصدره تعظيماً لقدر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم وعظم.

وهي مع ذلك تهديه السبيل الحق، والطريق المستقيم في خضم هذه الفتن المظلمة، التي اختلط بسببها الأمر على الناس فلم يعودوا يميزون بين الحق والباطل، والضلال والهدى، والظلام والنور.

وأصبح لديهم بسببها المعروف منكراً، والمنكر معروفاً فتعتبر هذه الأحاديث في هذا الوقت النبراس أو السراج الوهاج الذي يضيء الطريق للسالك في هذا البحر المتلاطم الأمواج من الظلمات الذي عميت فيه البصائر، وضلت القلوب، والعياذ بالله تعالى.

وأسأل الله تعالى الكريم أن ينفعنا بما علمنا، ويجعلنا من المعتصمين بهديه وشريعته في هذا الوقت العصيب المظلم الذي يصبح فيه الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً إلا من أحياه تعالى بالعلم.

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصف هذا الزمان وأهله، وقبل ذكر الأحاديث أذكر مقدمة مشتملة على بعض الفوائد المتعلقة بالموضوع ليتم للناظر في هذه الأربعين الانتفاع فنقول:

(المقدمة)

وفيها فوائد:

الأولى: صنف جمع كبير من الحفاظ رحمهم الله تعالى ورضي عنهم في الأربعينيات ما لا يحصى من المصنفات فمنهم من جمع أربعين حديثاً في موضوع خاص كما فعلت أنا في هذه الأربعين التي جمعتها في أحوال هذا الوقت، وكما فعلت في الأربعين التي جمعتها في ذم البخل والبخلاء، وهذا هو الغالب فيمن صنف في الأربعينات كالأربعين في صفة الرب للحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، والأربعين في آداب الصوفية لأبي نعيم الحافظ المتقن صاحب الحلية، وتاريخ أصبهان وغيرهما من الكتب النفيسة، والأربعين في فضل الجهاد لابن عساكر الدمشقي الحافظ صاحب تاريخ دمشق، والأربعين في فضل عثمان رضي الله تعالى عنه لأبي الخير إسماعيل بن يوسف القزويني الحاكم، وله أيضاً الأربعون في فضل علي عليه السلام، وكالأربعين في فضل العباس رضي الله تعالى عنه للحافظ أبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي رحمه الله تعالى، والأربعين المختارة في فضل الحج والزيارة للحافظ جمال الدين أبي بكر محمد بن يوسف بن مسدي الغرناطي، إلى غير هذا مما لا يحصى كثرة بحيث لا يمكن حصر ذلك، ولا عده (ومنهم) من جمعها في مواضيع مختلفة من أمور الدين وأصوله كما فعل الحافظ عبد الغافر الفارسي حيث جمع أربعين حديثاً في مسائل مختلفة من أمور الشريعة، ولي عليها مستخرج لطيف لكن لم يتم وكما فعل الحافظ الجليل ولي العلماء، وعالم الأولياء أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى ورضي عنه فإنه جمع أربعين حديثاً مشتملة على قواعد الدين ومهماته، كما أشار إلى ذلك في مقدمتها وشرح مسلم، وبستان العارفين، وغيرها من كتبه.

ولأجل ذلك تناولها العلماء من سائر المذاهب بالشرح لما ذكر فيها من الأحاديث التي تجمع أصول الدين، وقواعد أحكامه، ويندرج تحتها ما تشتد الحاجة إلى معرفته من أدلة فروعه، وقد وصف النووي رحمه الله تعالى الأحاديث التي جمعها في الأربعين، بأن كل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه أو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك.

ولأجل هذا - كما قلت- اعتنى العلماء من سائر المذاهب بشرحها، والتعليق عليها، ووضع التخريج على أحاديثها كما فعل الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، ولا يمكن حصر شروحها وهي ما بين مطول ومختصر، وقد وضع النووي رحمه الله تعالى نفسه شرحاً عليها وكذلك شرح هذه الأربعين من الأئمة الحافظ ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى، وشرحه مع اختصاره احتوى على فوائد جليلة، وقواعد مهمة كما هي عادته في جميع مصنفاته وأفضل شروح الأربعين النووية فيما أعلم، وأكثرها فائدة، وأعظمها جمعاً شرح الحافظ المتقن أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى من علماء القرن الثامن وقد سماه (جامع العلوم والحكم)، وهو يطابق اسمه كما يظهر لمن وقف عليه.

الثانية: قال الإمام النووي رضي الله عنه في مقدمة الأربعين: أول من علمته صنف فيه أي في الأربعين عبد الله بن المبارك، ثم محمد بن اسلم الطوسي العالم الرباني، ثم الحسن بن سفيان النسائي، وأبو بكر الآجري، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهاني، والدارقطني، والحاكم، وأبو نعيم، وأبو عبد الله بن محمد الأنصاري، وأبو بكر البيهقي، وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين

وقال رحمه الله تعالى ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين، وبعضهم في الفروع وبعضهم في الجهاد وبعضهم في الزهد وبعضهم في الأدب، وبعضهم في الخطب وكلها مقاصد صالحة رضي الله تعالى عن قاصديها ا.هـ.

الثالثة: وسبب اقتصارهم على هذا العدد من الأحاديث هو قوله صلى الله عليه وآله وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء.

وهو حديث له طرق متعددة وألفاظ مختلفة وهو بجميع طرقه ضعيف، وقد جمع طرقه الشقيق أبو الفيض رحمه الله تعالى في جزء سماه (إرشاد المربعين إلى طرق حديث الأربعين).

وذكرت بعض طرقه مع الكلام عليها في مستخرجي على الأربعين لعبد الغافر الفارسي رحمه الله تعالى والحديث وإن كان ضعيفاً -كما قلت- فالعمل به في هذا الباب جائز سائغ مستحب كما قال النووي رحمه الله تعالى في الأذكار وغيره من كتبه.

وكلام أبي بكر بن العربي المالكي الأندلسي دفين فاس رحمه الله تعالى في منع العمل به في فضائل الأعمال أيضاً مدفوع باتفاق العلماء المتقدمين والمتأخرين على جواز العمل به في ذلك كما حكاه النووي رحمه الله تعالى في مقدمة الأربعين وغيرها وحكاه غيره من أئمة الحديث والفقه، وهو المنصوص عليه في كتب المصطلح، وأصول الفقه وفي كتب الفقه بحيث لا تجد نصاً في هذه الكتب يخالفه، والعجب أن ابن العربي المالكي نفسه خالف قوله هذا فاحتج في كتبه بالأحاديث الضعيفة، بل والتي تكاد تكون موضوعه أو هي موضوعة فعلاً، بل احتج بأحاديث لا أصل لها كما يعلم ذلك من قرأ كتبه لا سيما (سراج المريدين).

وما أرى ذلك إلا لأنه لم يجد بُداً من ذكر الحديث الضعيف في الباب الذي اتفق العلماء على جواز ذكره فيه والاستدلال به كما تقدم.

الرابعة: قال النبراوي رحمه الله تعالى في شرح الأربعين النووية: إنما اشترط هذا العدد لسر علمه الشارع أو لكونه أكمل الأعداد أو لغير ذلك ويحتمل أن يكون لا مفهوم له فيدخل في الوعد الآتي من حفظ على الأمة دينها، ولا حرج على فضل الله تعالى ا.هـ. **قلت:** الظاهر من صنيع من صنف في الأربعينات كالنووي رحمه الله تعالى، وغيره ممن تقدمه أن الحديث لا مفهوم له بمعنى أنه لا يفيد الحصر، فإن العدد لا مفهوم له على الصحيح فذكر القليل لا ينفي الكثير لاندراجه فيه وبهذا يجاب عن صنيع النووي رحمه الله تعالى حيث قال في مقدمة الأربعين:

وقد رأيت أن أجمع أربعين حديثاً مع أنه ذكر اثنين وأربعين حديثاً وكما صنع عبد الغافر الفارسي رحمه الله تعالى فإنه زاد على عدد الأربعين أيضاً، والله تعالى أعلم، ولعدد الأربعين سر عند أهل الطريق يمتاز عن غيره من الأعداد.

واستدلوا له بقوله تعالى: "وواعدنا موسى ثلاثين ليلة أتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة" (سورة الأعراف من الآية:١٤٢)، وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم من اخلص لله أربعين ليلة ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وهو وإن كان ضعيف الإسناد لكن له شواهد كثيرة وطرق تجبر ضعفه، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وتعقبه الحافظ السيوطي في اللآليء بما يعلم بمراجعته، وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار. وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق، وهو حديث صحيح له طرق، وصححه الحافظ المنذري في كتاب الترغيب والترهيب، وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً. (رواه) الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه إلى غير هذا من الأحاديث الواردة بتخصيص العدد بالأربعين في كثير من الأعمال، ولأجل هذا جعلوا الأربعينية وهي لزوم الخلوة أربعين ليلة، وانظر الكلام على ذلك في كتبهم كعوارف المعارف للسهروردى رحمه الله تعالى.

الخامسة: الأحاديث الواردة في الفتن وأشراط الساعة، والمخبرة بما سيكون قبل قيامها من عجائب المظاهر وغرائب الأحوال، وما سيقع للناس من تبدل وانقلاب وما سينزل بالأمم من بلايا وأهوال.

يجب على العالم الحاذق ألا يتكلف شرحها بما يقتضيه اللفظ والعبارة ومدلول اللغة، فإن ذلك يجر إلى الوقوع في الغلط العظيم، والخطأ الجسيم، وصرف الحديث الوارد في ذلك عما أراده النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لما عبر بتلك الألفاظ عما شاهده، وأطلعه الله تعالى عليه من الأحوال، والأحداث التي ستقع وتحدث في هذه الأمة، أتى صلوات الله تعالى عليه وسلامه، بالعبارة التي تقرب للصحابة المعنى لا غير لأنه لا يمكن أن يخاطبهم بشيء لا يعرفونه ولا يفقهونه ولا يعلمون المراد منه.

فضرب صلى الله عليه وآله وسلم الأمثال، وأتى بالعبارة التي يقبلها فهمهم، وتقرب لهم المعنى المراد من الخبر.

كإخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن السيارات الفخمة التي يتنافس الناس في اقتنائها اليوم والتباهي بها بلفظ (المياثير) وهو المركب الوطئ أو الموطأ الذي يرتاح راكبه من ليونته وسهولته.

وكتعبيره عن ذلك أيضاً في خبر آخر بقوله: سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات (الحديث).

وقد عبر صلى الله عليه وآله وسلم عن السيارات أيضاً في حديث آخر بقوله من أشراط الساعة أن يركب المنظور وكإخباره عن نساء العصر المتبرجات وتصفيف شعورهن ووضعهن (البيلوكة) على رؤوسهن بقوله: كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت يعني الإبل إلى غير هذا مما شاهده. وأطلعه الله تعالى عليه ورآه كما هو عليه الآن، ولذلك وصفه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الوصف البليغ البالغ في الدقة عن حقيقته.

ولكنه أخبر الصحابة بالعبارة التي تقرب لهم المراد من ذلك وأما الحقيقة والواقع من تلك الأخبار فهو وراء ذلك من غير شك، ولهذا كان شرح هذه الأحاديث هو هذا الوجود بأجمعه بما ظهر فيه من الحوادث والوقائع والأحداث حتى الظواهر الطبيعية ككثرة الزلازل وقلة النبات مع كثرة الأمطار والسيول التي تأخذ القرى بأجمعها وغور المياه من العيون، وتفشي الأمراض الغريبة التي لم تكن معهودة ولا معلومة، وكثرة موت الفجأة، وانتشار الفالج حتى يتمنى الناس الموت بسببه إلى غير هذا مما ظهر وتحقق وشاهدناه، وبما سيظهر فيما بعد فهي من هذه الناحية تشبه القصة التي لا تظهر جلية إلا بعد القيام بتمثيلها على المسرح، وشرحها بالقلم على صفحات الأوراق لا يكفي في تفصيل دلالة مغزاها وشرح معناها، بل ربما يكون في بعض الأحيان لا يفي بالمراد مطلقاً وقد تكلف العلماء فيما مضى شرح هذه الأحاديث تكلفاً يكاد يكون مزرياً بالعقول، بل لو حضروا الآن عند ما تحقق وجود ما أخبرت به تلك الأحاديث من الأحداث والوقائع لضحكوا بملء فيهم من تلك الشروح التي أتوا بها لأنهم حملوا تلك الأحاديث على معان غير مطابقة لألفاظها وهم معذورون في ذلك غاية العذر، لأن ما تدل عليه لا يعرف ولا يعلم ولا يدرك المراد منه إلا بالمشاهدة، ولم يكن ظهر ذلك في عصرهم كما هو الحال في وقتنا هذا، فلذلك نراهم -رحمهم الله تعالى- بذلوا غاية جهدهم في شرحها، ولم يأتوا منها على طائل كما يظهر لمن نظر في كلامهم، أما الآن وفي هذا الوقت، وبعد ما تحقق وظهر ما أخبرت به هذه الأحاديث فبمجرد ما يقع النظر على حديث منها ينصرف الذهن إلى ما يدل عليه من أول وهلة، ومن غير تأمل، وبحث ونظر.

وهناك أحاديث لم يظهر بعد ما تدل عليه وتشير إليه وهو واقع لا محالة كما وقع، وتحقق ما جاء الخبر به في الأحاديث الأخرى فلا ينبغي تكلف شرحها، وحمل ألفاظها على المعاني البعيدة عنها التي يبدو عليها التكلف، وعدم المطابقة للمعنى كما سبق من العلماء الذين تناولوا هذه الأحاديث بالشرح، بل يجب ترك شرحها للمستقبل فهو

الكفيل بذلك، وما سوى ذلك فتكلف لا معنى له، ومن ثم فلا تمكن الإحاطة في هذا الموضوع لمن يكتب فيه، ولا يتيسر له التقصي والتتبع، ولا يمكن كذلك الاستغناء بكتاب صنف فيه عن كتاب بل مهما حاول جامع هذه الأحاديث الإحاطة فلا بد أن يأتي بعده من يستدرك عليه ما لم يكن له في حساب، وهكذا إلى أن تقوم الساعة ويكون فريق في الجنة وفريق في السعير لأن الإنسان قد يمر بحديث من هذه الأحاديث ولا يتنبه له ولا يتفطن لشأنه لعدم ظهور ما يشرح معناه ويبين المراد منه، فيصرف نظره عنه فيأتي بعده من يكون قد ظهر له المراد منه بحدوث ما أخبر به، ووقوعه، وتحققه.

فكن من هذا على بال لكيلا تتكلف إذا أردت التأليف في هذا الموضوع الإحاطة والاستيعاب لكل ما ورد في الأشراط مع الشرح وبيان المراد منها، بل اذكر ما تراه قد ظهر شرحه واترك ما لم تره لغيرك إن جاء بعدك كما حصل لك أنت مع من سبقك والله أعلم.

السادسة: ورد في أحاديث كثيرة تكاد تبلغ التواتر إن لم تكن تواترت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أطلعه الله تعالى على ما كان، وما سيكون وإن الله تعالى جلى له الدنيا فهو ينظر إليها وإلى ما هو كائن فيها كما ينظر إلى كفه وأشار إلى كفه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم.

من ذلك حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" إن الله عز وجل رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفي هذه جليان من أمر الله عز وجل جلاه لنبيه كما جلاه للنبيئين قبله". (رواه) الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية.

وهو وإن كان سنده ضعيف لكن لا يضر لأن هذا المعنى قد تواتر خبره، وما كان هكذا فلا يضر ضعف طريق حديث من أحاديثه كما هو معلوم لأن الطرق الأخرى تجبر ذلك الضعف وتقوى ذلك الراوي الضعيف، وتجعل حديثه مقبولاً كما وقع هنا فإن الأحاديث في هذا الباب تواترت تواتراً معنوياً وحصل بها العلم الضروري الذي لا يحتاج معه إلى البحث عن رواته وسلامة رجاله ففي صحيح مسلم عن حذيفة قال لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يكون حتى تقوم الساعة.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن حذيفة أيضاً قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، وإنه ليكون منه الشيء قد كنت نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه.

وفي صحيح مسلم عن أبي زيد قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفجر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فأحفظنا أعلمنا.

وفي مسند أحمد والطبراني وطبقات ابن سعد عن أبي ذر قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً.

وعن أبي الدرداء مثله (رواه) أبو يعلى وابن منيع والطبراني وفي صحيح البخاري معلقاً عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه.

قال الحافظ في الفتح وقد وصله الطبراني وأبو نعيم، وفي سنن الترمذي في باب ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة من كتاب الفتن عن أبي سعيد الخدري قال صلَّى بنا رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه (الحديث) رواه أحمد مختصراً ومطولاً.

وقال الترمذي وفي الباب عن المغيرة بن شعبه، وأبي زيد بن أخطب، وحذيفة، وأبي مريم ذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وقال الترمذي حديث أبي سعيد حديث حسن.

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت كسفت الشمس فصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار.

وفي مسند أحمد عن سمرة بن جندب قال كسفت الشمس فصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال إني والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون من أمر دنياكم وأخرتكم، مثل هذا كثير يطول تتبعه هنا، وهو يحتاج إلى كتاب مفرد.

قال الشوكاني قد تقرر بالدليل القرآني أن الله عز وجل يظهر من ارتضى من رسله على ما يشاء من غيبه، فهل للرسول الذي أظهره الله تعالى على ما شاء من غيبه أن يخبر به بعض أمته؟.

قال: قلت نعم ولا مانع من ذلك وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا ما لا يخفي على عارف بالسنة المطهرة فمن ذلك ما صح أنه قام مقاماً أخبر فيه بما يكون إلى يوم القيامة وما ترك شيئاً مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.

ثم ذكر جزئيات مما يأتي، وقال ونحو هذا مما يكثر تعداده، ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل نقله صاحب البيان.

قلت: وقد نص على تواتر هذه الأحاديث القاضي عياض قال رحمه الله تعالى في الشفا ما نصه: وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون، وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة، وقال أيضاً رحمه الله تعالى في فصل ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون ما نصه: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب ا.هـ.

وهذا أمر لا يحتاج إلى تقرير وبيان، بل هو معلوم لكل مؤمن بالضرورة، والمجادل فيه بعيد عن الإيمان فضلاً عن العلم، ولكن الذي يحتاج إلى البيان والشرح ليكون الباحث على بينة منه، وعلم به وليحذر الوقوع فيه، هو أن بعض من قل علمه، وقصر اطلاعه، عن السنة النبوية زعم جهلاً منه كما قلنا أو تقليداً لغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلعه الله تعالى على مفاتيح الغيب التي قال عز وجل عنها في كتابه "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو"، وبينها صلى الله عليه وآله وسلم بقوله في الحديث الذي (رواه) أحمد والروياني عن بريدة رضي الله تعالى عنه: (خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل إن الله تعالى عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت).

وقد وقع في غفلة عظيمة من استدل بهذا على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلع على هذه الخمس وأظهر جهلاً وقصوراً وبعداً عن الفهم والعلم.

وذلك أن هذه الخمس مما يشملها قوله عز وجل "فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول" (الجن الآيات ٢٦-٢٧).

فنبينا المرتضى المختار صلى الله عليه وآله وسلم ممن أطلعه الله تعالى عليها مع ما أطلعه عليه من أسرار غيبه، وإنما وقع تخصيصها بالذكر، والاستثناء من الغيوب الأخرى لأهميتها، وكونها ليست مثل سائر الغيوب، التي قد

يستدل عليها بالعلم أو فراسة، أو وسيلة من الوسائل التي جعلها الله عز وجل وسيلة، وطريقاً لمعرفة الغيب كالرؤيا والإلهام والفراسة والتحديث كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح:"أنه كان فيمن قبلكم محدثون وأن يكن في هذه الأمة فعمر"، ويجوز أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال "خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى قبل أن يطلعه الله تعالى عليهن" ثم بعد ذلك أطلعه الله تعالى عليهن وهذا هو الواقع الذي لا يجوز المحيد عنه للأدلة التي سنذكرها.

وقد تقدم في حديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال "ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار"، وهو ظاهر في العموم لأن لفظ الشيء أعم العام وقد وقع نكرة في سياق النفي، ثم جيء بأداة الحصر، فيقتضي قوة الكلام على هذا رؤية كل شيء لم يره قبل حتى قال الكرماني في شرح البخاري فيه دلالة على أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه في هذا المقام إذ الشيء يتناوله، والعقل لا يمنعه، والعرف لا يقتضي إخراجه.

وفي سنن الترمذي وقال حسن صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه في حديث اختصام الملأ الأعلى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"فتجلى لي كل شيء، فعرفت الحديث (فهذا) والذي قبله، وغيرهما كثير صريح في أنه صلى الله عليه وآله وسلم أطلع ورأى ما كان وما سيكون إلى أن تقوم الساعة كما قال في حديث آخر كأني أنظر إلى كفي هذه مما لم يكن اطلع عليه ورآه من أمور الغيب وحتى ولو لم يرد هذا البيان في هذه الأحاديث فإن الواقع والوارد الثابت عن طريق التواتر المفيد للقطع يفيد أنه صلى الله عليه وآله وسلم أطلعه الله تعالى على مفاتيح الغيب المذكورة، مما يدل كما قلنا على أنها مما يشملها قوله تعالى:"فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول" (الجن الآيات ٢٦-٢٧)، لإخباره صلى الله عليه وآله وسلم بذلك في وقائع وقضايا مختلفة يفيد مجموعها التواتر المفيد للعلم الضروري بذلك بحيث لا يمكن بعد الوقوف عليها، ومعرفتها أن يقول أحد أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلعه الله عز وجل على هذه المفاتيح الخمس وتتبع ذلك يطول ويطول وما أجدر ذلك أن يصنف في مصنف خاص لإفادة أهل العلم، وإزالة كل ريب، وشك عن قلب الغافل عن ذلك، ولكن نشير هنا إلى ما يستدل به على التفصيل، ويقع به اليقين للواقف عليه بأنه صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم وعظم علم مفاتيح الغيب المذكورة في قوله تعالى:"وعنده مفاتح الغيب" (الأنعام من الآية:٥٩)، وأطلع عليها إجمالاً وتفصيلاً وذلك أنه ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث صحيحة الأخبار بنزول الغيث، بل أخبر بأن الملك الموكل بالسحاب أخبره بأنه يسوق المطر إلى أرض فلان، وفي رواية أرض اليمن، كما أخبر عدداً كبيراً بأنه سيولد لهم، ويعين لهم المولود ذكراً أو أنثى.

وأخبر جماعة أيضاً بالأرض التي سيموتون فيها كإخباره والد النعمان بن بشير بأن ابنه النعمان سيموت مقتولاً بالشام وكان الأمر كذلك.

وأخبر ميمونة بنت الحارث رضي الله تعالى عنها بأنها لا تموت بمكة فكان كذلك. وأخبر أبا ذر بأنه سيموت في أرض فلاة تشهده عصابة من المسلمين فكان كما أخبره والقصة معروفة.

وأخبر سمرة بن جندب بأنه سيموت محترقاً فكان كذلك، وأخبر بأجل جماعة من الصحابة، وبإنخرام القرن وأنه لا يبقى بانتهاء القرن الذي فيه أحد حي فكان كذلك.

ووضع يده الشريفة على رأس عبد الله بن بسر وقال يعيش هذا الغلام قرناً فعاش مائة سنة، وكان في وجهه التؤلول فقال لا يموت حتى يذهب هذه التؤلول من وجهه فلم يمت حتى ذهب.

وقال لحبيب بن مسلمة لما أدركه أبوه في المدينة وقد جاء لرؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان أبوه كافراً وأراد منع حبيب ابنه من الإقامة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ارجع معه فإنه يوشك أن يهلك، فهلك في تلك السنة، وقال عند وفاته صلى الله عليه وآله وسلم لابنته السيدة فاطمة عليها الصلاة والسلام أنت أول أهلي لحوقاً بي، فماتت بعده صلى الله عليه وآله وسلم بستة أشهر ولم يمت أحد قبلها من أهله.

وقال لنسائه رضي الله تعالى عنهن أطولكن يداً أسرعكن لحوقاً بي، ولم يفهمن المراد من قوله هذا وظنن أنه الطول الحسي، فصرن يقسن أيديهن مع بعضهن أيهن أطول يداً من الأخرى.

حتى ماتت زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وكانت كريمة جوادة صناعاً تعمل بيدها وتتصدق كانت تدبغ، وتخرز وتتصدق على المساكين.

قالت عنها عائشة رضي الله تعالى عنها لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل رضي الله تعالى عنها فلما ماتت علمن أن المراد بطول اليد الكرم والجود والإحسان.

وقال لسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه وقد مرض بمكة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكره الموت بالأرض التي وقعت منها الهجرة، وكان سعد بن أبي وقاص خاف ذلك أيضاً قال له لما عاده في مرضه هذا بمكة: وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون، وكان أمره رضي الله عنه كذلك فقد عاش إلى خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وتولى قتال فارس، وفتح الله تعالى على يديه القادسية وهو الذي كوف الكوفة فانتفع به المسلمون انتفاعاً عظيماً، وأضر الله تعالى به المشركين والمجوس كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيح إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، فكان الأمر كذلك، ومنذ قضي على دولة كسرى على يد المسلمين لم تقم له قائمة ومحي اسمه من الوجود كما ذهب ملكه، وقد أراد رضا شاه بهلوي أحد ملوك إيران في هذا العصر أن يحي سيرة كسرى، وأن يجعل من إيران الفارسية بلداً كسروياً مفتخراً بذلك ومعتزاً به حتى أمر بجعل تاريخ إيران بما كان يؤرخ به أجداده المجوس الكسرويين حباً فيهم وتعصباً لهم وإحياء لجاهليتهم فسلط الله عز وجل آية الله الخميني فشرده وطرده من بلده ذليلاً مهيناً خاسئاً حتى مات غريباً في مصر في أسوأ حال بعد أن أبت كل الدول التي طلب اللجوء إليها قبول سكناه بها مع أنها تقبل من هو شر منه ولا قيمة له بالنسبة إليه، ولكن الله تعالى أراد أن يذله ويهينه حيث أراد إحياء سيرة عدو من أعدائه أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا هلك فلن يعود ولن تقوم له قائمة، ولا يسمع له ذكر في الأرض ولا زالت أسرة الشاه البائس تعيش في مصر غريبة في شقاء بعد أن كانت تتقلب في تيجان الذهب وفرش الحرير والديباج.

وأخبر أيضاً في حديث أخر في الصحيح بأن فارساً نطحة أو نطحتان ولكن الروم ذوات القرون كلما هلك قرن ظهر آخر، فكان الأمر كذلك فالفرس انتهى أمرهم ولم يبق لدولتهم أثر، كما علمت ولكن الروم وهم الأوربيون، ومن تنسل منهم كالأمريكيين كلما هلك منهم جيل وانقرضت منهم دولة ظهر ما يخلفهم ويسير سيرهم ويعمل عملهم في المكر والخداع وإنزال الضرر بالمسلمين بشتى الوسائل والحيل كما هو ظاهر.

ولهذا قال في حديث آخر صحيح أشد الناس عليكم الروم وإنما هلكتهم مع الساعة، فما أصاب المسلمين بلاء في دينهم ودنياهم إلا من الأوروبيين بواسطة الاستعمار العسكري والسياسي أو بواسطة الدسائس التي يدسونها في البلاد الإسلامية ولو مع جلائهم عنها كما نراه ظاهراً واضحاً في كل بلد إسلامي مستقل، وآخر تلك الدسائس ما فعلته الولايات المتحدة في إيران بعد الثورة الإسلامية.

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن هذه الشدة وهذا المكر الذي يحصل من الروم لنا لا ينتهي إلا مع قيام الساعة يعني الساعة الخاصة بالإسلام والمسلمين عند خروج المهدي محمد بن عبد الله الذي تواترت الأحاديث بأنه سيظهر ليعز الله تعالى به الإسلام ويعلى به كلمة التوحيد ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ويقسم الأموال صحاحاً.

فيوزع أموال الأمة على الطريقة التي جاء بها القرآن فيعطي كل ذي حق حقه بدون أن يستأثر بذلك جماعة أو طائفة كما هو الحال الآن بين المسلمين.

أما قبل قيام هذه الساعة بخروج المهدي محمد بن عبد الله فإن المسلمين لا يرون من الروم ومن تنسل منهم إلا الشدة في المعاملة والمحاربة بجميع أنواعها رغم تودد المسلمين إليهم حُكاماً وشُعوباً ومد يد المساعدة لهم فيما يطلبونه منهم حتى فيما فيه الضرر العظيم عليهم كإنشاء القواعد العسكرية المشتملة على السلاح النووي الذي وجوده في أرض معناه خرابها، وتدميرها إذا هوجمت من دولة أخرى، ومع هذا وغير هذا من أنواع المجامل والمودة فإنهم لا يرون للمسلمين قيمة ولا يقابلون مجاملتهم بمثلها مطلقاً.

وأعظم دليل على ذلك ما أظهرته أوربا بأجمعها عند تسلط اليهود على فلسطين وقتل أهلها نساءاً وأطفالاً ورجالاً ونهب أموالهم وإخراجهم من ديارهم وأرضهم لإقامة دولتهم إسرائيل فإن أوروبا بجميع دولها على ما فعلوا بالسكان الأصليين من قتل وتشريد ونهب لأن ذلك وافق هواهم وما ينطوون عليه من بغض وحقد وعداوة لكل ما فيه رائحة الإسلام.

ولو فعل اليهود ذلك التقتيل بأمة أخرى غير مسلمة أو لو فعلوه بالحيوان ولو كانت مفترسة لقامت أوربا قومة الرجل الواحد غاضبة، وطالبة بإيقاف تلك الاعتداءات المخالفة لحقوق الإنسان أو بالدفاع عن الحيوان الذي له عندهم قانون يحميه من كل اعتداء، لأجل المحافظة على البيئة، أما المسلمون فهم في نظرهم يستحقون كل بلاء وكل نقمة وكل شدة، والحيوان المفترس المعتدي أفضل منهم وخير يجب الدفاع عنه وإكرامه دونهم.

وكل هذا أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله أشد الناس عليكم الروم وإنما هلكتهم مع الساعة، وها هي أمريكا أو الولايات المتحدة لا تنفك عن الدس والتفرقة وبث المكائد وإلقاء الفتن بين المسلمين، بعد أن كان من صنيع انجلترا العدوة الأولى للمسلمين التي سلمت فلسطين لليهود، وهيأت لهم الأسباب والوسائل لما كانت مستعمرة لها ليقيموا فيها دولتهم، ويرموا بسكانها في البحر على مرأى منها ومسمع، بل وبمساعدة جيشها على ذلك ويضاف إليها فرنسا المساعد الأكبر لها في اقتسام بلاد المسلمين بعد أن عملوا كل جهدهم في القضاء على الخلافة العثمانية ليسهل عليهما احتلال دول الخلافة دولة تلو الأخرى وما فضل عنهما ولم يروا فيه الفائدة العظيمة لهما سلموه لغيرهما من الدول الاستعمارية بعد أن عقدوا المؤتمرات وقرروا فيها اقتسام بلاد المسلمين بينهم من غير أن ينازع أحد منهم الآخر في حقه في الغنيمة. فمن أخذ شيئاً من ذلك فله الحق الكامل في التصرف فيه والتحكم في سكانه ومالهم وأرضهم ومساكنهم من غير أن يعترض واحد منهم على الآخر كما يعلم ذلك، من قرأ تاريخ ذلك وهذا أيضاً أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن ثوبان مرفوعاً يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله، قال بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلب عدوكم ويقذف في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله، قال حب الدنيا وكراهية الموت. فهذا وصف دقيق بالغ الدقة لما وقع من الدول الأوربية من تقسيم بلاد المسلمين كاقتسام الآكلين للطعام بينهم على المائدة.

ولكن قد انتهى في الظاهر هذا الاستعمار، وانتهى تصرف هذه الدول في شؤون البلاد الإسلامية الداخلية ولم ينته منهم الدس والكيد، وتعطيل سير تلك الدول إلى الرقي والتقدم بسبب ما يلقون في طريقها من عراقيل ومشاكل تجمد حركة العمل فيها، وتعطل السير تماماً، وهذه الدول وإن كان وهن قرنها، ووهي حماسها في ذلك لما أوجد الله تعالى لها من المشاكل هي الأخرى التي شغلتها عن غيرها وصارت بسببها تعوم في بحر من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية جزاءاً وفاقاً لها على ما فعلت بغيرها.

إلا أنه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفها قرن آخر لا يألوا جهداً في المحاربة بالمال، والمساندة بالقول والمعونة التامة لكل من يحارب المسلمين ويؤذيهم في ديارهم وبلادهم وهو الولايات المتحدة الأمريكية وأكبر دليل على ذلك موقفها الحازم الصارم في مساندة إسرائيل ومدها بالسلاح لقتل المسلمين، وحمايتها من كل من يحاول إضعاف إسرائيل في حربها للمسلمين كما هو معلوم لكل أحد.

وانظر من سيخلفها في هذه الإذاية إذا وهن قرنها هي الأخرى في محاربة المسلمين لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وإنما هلكتهم مع الساعة.

وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام بأنه سيضرب على هذه، وأشار إلى ناصيته حتى يخضب منها هذه، وأشار إلى لحيته فكان كذلك ضربه ابن ملجم اللعين على ناصيته بسيفه حتى سال الدم على لحيته عليه السلام، والمقصود أن الأحاديث في هذا الباب كثيرة بلغت التواتر كما قلنا فلا ينبغي التردد فيها.

وأما إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بما سيقع لكل أحد في الغد وفي غد الغد وقد ذكرت بعضه وكذلك ما يكسبه في غده فهذا مما لا يطمع في حصره والإحاطة بجزئياته بل ما كان يخلو مجلس من مجالسه الكريمة من ذلك، فما من صحابي إلا وأخبره صلى الله عليه وآله وسلم بما سيلقاه في غده من خير وشر إلى أن يموت، ويمكنك الرجوع إلى أبواب الفتن من كتب السنة المشرفة وكذلك الخصائص النبوية للحافظ السيوطي وكتب دلائل النبوة، كالدلائل لأبي نعيم الأصبهاني وللبيهقي وغيرهما كثير ليحصل لك اليقين بل عين اليقين بذلك لما في ذلك من تعدد القضايا، والجزئيات المروية بالطرق المختلفة والأسانيد المتعددة التي يحصل بأقل منها العلم الضروري للواقف عليها فكيف بها.

فهذه الأمور كلها من الخمس التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها مفاتيح للغيب، وقد أخبر بها صلى الله عليه وآله وسلم جملة وتفصيلاً أما التفصيل فهو ما واجه به أصحابه وأخبرهم به من أحوالهم التي ستقع لهم على التفصيل كما تجد ذلك مبيناً مفصلاً في كتب السنة والكتب المؤلفة في الفتن خاصة وفي تراجم الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

وأما الإجمال فهو إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بأحوال أمته وتبدلها حالاً بعد حال، وقرنا بعد قرن إلى أن تقوم الساعة وكل ذلك يدل الدلالة القاطعة على أن الله عز وجل أطلعه على هذه الخمس، فأذن له سبحانه بالتحديث عنها والإخبار بها، ولم يأذن له بالتحدث عن الساعة التي ينتهي فيها أجل العالم على وجه التحديد، وأمره بكتم ذلك لتجزى كل نفس بما تسعى كما أخبر تعالى على العلة في إخفائها، وعدم تعيين وقتها المحدد وإن كنا على يقين بأن الله تعالى أطلعه عليها كما أطلعه على غيرها من أسرار الغيب الدنيوية والأخروية، ولكن لم يأذن له بالإخبار بذلك والأحاديث تدل على هذا لمن سبرها وتتبع نصوصها.

وأعظمها دلالة على ذلك الأحاديث التي أخبر فيها بالأشراط الكبرى التي عند ظهورها يكون قيام الساعة وانتهاء العالم وأنه لا ينفع نفساً إيمانها عند ظهورها فهذه الأحاديث - وهي متواترة أيضاً- تكاد تكون قاطعة بأنه صلى الله

عليه وآله وسلم علم وقت الساعة على التحديد، ولم يخبر به لأن الله تعالى أراد إخفاءه على عباده لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال تعالى ولكن أخبر بالأشراط والعلامات التي تدل على ذلك وكفي بهذا دلالة على علمه بذلك.

ثم إن الله تعالى قال أكاد أخفيها إشارة إلى أن معرفة وقتها المحدد يمكن أن يطلع عليه من ارتضاه واختاره، ولم يقل سبحانه أخفيتها، فتنبه لهذا التعبير القرآني في هذا الموضوع يرتفع عنك ما يختلج في صدرك من ذلك.

والمقصود أن الخلاف في كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم اطلع على مفاتيح الغيب الخمس أو لم يطلع لا معنى له مطلقاً وفيه يأتي قول القائل:

ولــــيس كـــل خـــلاف جـــاء معتبـــراً إلا خلافـــاً لـــــه حـــظ مـــن النظـــر

فهذا الخلاف لاحظ له من النظر. فيجب طرحه وعدم الالتفات إليه لأنه نشأ عن جهل بالسنة كما قلنا، وقد تعلق بعض من أنكر ذلك بشبهة تدل على جهله ولذلك ظنها حجة له، وكم من شبهة تأتي في صورة حجة عند الغافل.

وهذه الشبهة هي أن إطلاعه صلى الله عليه وآله وسلم على المفاتيح الخمس يقضي بإحاطة علمه صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك من صفة علمه عز وجل وهذه الشبهة داحضة وأبطل من أن يشتغل بها ولذلك لا تخطر في بال أحد من المسلمين مطلقاً، لأن كل مسلم يعلم علم اليقين ويجزم الجزم البات الذي لا يدخله الشك والارتياب أن علمه صلى الله عليه وآله وسلم ليس بالمعنى الذي يطلق على علم الله تعالى، لأن إحاطته صلى الله عليه وآله وسلم بذلك مكتسبة موهوبة من عند الله تعالى كما قال عز وجل: "ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان"(الشورى من الآية :٥٢) وكما قال سبحانه: "ووجدك ضالاً فهدى"(الضحى آية:٧)، يعني ضالاً عن الوحي وعلم الشريعة فهداه الله تعالى إليه، ومَنَّ عليه بالوحي والتنزيل بخلاف علم الله عز وجل فليس من هذا القبيل بل هو ذاتي كما هو معلوم لكل مؤمن.

وقد تقدم قوله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى جلى لي الدنيا فأنا أنظر إليها كما أنظر إلى كفي هذه، وبهذا يحصل الفرق بين وصفه تعالى بالإحاطة والشمول وبين وصف علمه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فعلمه تعالى قديم من صفاته تعالى، وعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك حادث مكتسب وشتان ما بين الوصفين، فلا ينبغي التوقف في ذلك بعد هذا، ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يسأل أحياناً عن أمور فلا يخبر عنها، ويكف عن الجواب حتى يأتيه الوحي، ومن تتبع الأحاديث الواقع فيها إخباره صلوات الله عليه وسلامه بالأمور الخمس وهي علم ما في الأرحام ونزول الغيث وماذا يكسب الإنسان غداً ومعرفة الأرض التي يموت فيها يحصل له اليقين الذي لا يدخله أدنى شك في أن الله تعالى مكنه من مفاتيح هذه الغيوب فكان يعلمها كما يعلم غيرها، ويرى بعد ذلك أن القول ينفي ذلك فيه جهالة ومجازفة وقصور بالغ في المعرفة.

فعلى الطالب الباحث أن يحرر ذلك في كتاب خاص ليقطع به لسان الجاهل الهالك والله تعالى أعلم وقد وقع بين أبي علي الحسن بن مسعود الليوسي المتوفي سنة اثنتين ومائة وألف وبين قاضي سجلماسة أبي مروان عبد الله بن محمد التجموعتي المتوفي سنة ثمان عشرة ومائة وألف نزاع في هذا المسألة فكان أبو علي الليوسي يزعم أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم الغيوب على وجه الإحاطة وأنه لم يكن يعلم الخمس، وجزم التجموعتي رحمه الله تعالى بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم كل شيء حتى الخمس، وألف في ذلك رسالة سماها (ملاك الطلب، وجواب أستاذ حلب). يعني أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي نزيل فاس ودفينها وقد كان رفع إليه سؤالاً في ذلك، والتجموعتي رحمه الله تعالى جزم بذلك لأنه كان ذا خبرة بالحديث، وله فيه مؤلفات فاطلع من ذلك على ما جعله يجزم بإطلاعه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك.

وأما الليوسي رحمه الله تعالى فلم يكن له قدم في الحديث وإنما غالب ما كان عنده يتعلق بالمعوقات، والأدب فلذلك وقف مع عقله في ذلك، فنفي إطلاعه صلى الله عليه وآله وسلم على الغيب على وجه الإحاطة وعدم علمه صلى الله عليه وآله وسلم بالخمس، ويقال أن الليوسي رجع عن قوله هذا كما نقله بعضهم وسواء رجع أم لم يرجع فليس هو في هذا الميدان ممن يعتمد على قوله، ويؤخذ برأيه، فإنه كما قلت - لم يكن له علم بالسنة التي إليها المرجع في هذا العلم- وإنما كان صاحب معقول وأدب، ومع ذلك فكتبه في ذلك ليست بالمفيدة الفائدة التي يحسن السكوت عليها كما يظهر للواقف عليها، ولذلك لم يقع الاعتناء بها ولا اشتغل بها أهل العلم ونقلوا عنها.

وقد سبق التجموعتي في التأليف في هذا الموضوع العلامة السيد منصور البغدادي أحد علماء القرن العاشر وسمى كتابه (إقامة شواهد المنقول والمعقول، على إحاطة علم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الرسول)، وأثنى على هذا التأليف العلامة السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل في ثبته (النفس اليماني) ص ٢٥٣. فقال وهي رسالة عظيمة فيها بدائع التحقيق والفوائد وعجائب التدقيق والعوائد، وكذلك وقع الخلاف في هذه المسألة بين علماء الهند والحجاز في أوائل هذه المائة.

وألف في ذلك العلامة أحمد رضا علي خان البريلوي الحنفي الهندي رسالة (اللؤلؤ المكنون، في علم البشير ما كان وما يكون)، وألف أخرى سماها (مالئ الجيب، بعلوم الغيب)، وأخرى سماها (أنباء المصطفي بما أسر وأخفي)، وقد أطلت الكلام بعض الشيء لأن الموضوع مما ينبغي معرفته، والوقوف على أدلته، لا سيما وقد ذكروه في خصائص نبينا صلى الله عليه وآله وسلم التي خصه الله تعالى بها عن غيره من الأنبياء وذلك مما يتأكد العلم به، ومعرفة الحق فيه والله تعالى ولي التوفيق.

السادسة: قد أذكر في هذه الأربعين بعض الأحاديث التي لا تبلغ درجة الصحيح والحسن ولكنها لا تنزل مع ذلك عن درجة الضعيف المنجبر إما بورودها من طرق أخرى تعضدها وترفعها إلى درجة الحسن لغيره كما هو مقرر في علم الحديث، وإما أن يكون خبرها مطابقاً للواقع، وذلك شاهد قوي لصدق راويها، وإن لم يكن لها طريق آخر يشهد لها.

وقد حكم الحفاظ على كثير من أحاديث الضعفاء بالثبوت لمطابقتها للواقع، وهذا معلوم عندهم مقرر في كتبهم بل إنهم ربما يعتمدون على التجربة في ثبوت الخبر، وجواز العمل به، كما وقع منهم ذلك في حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتا عشرة ركعة تصليهن من ليل أو نهار الحديث رواه الحاكم في المائة له، وغيرها ومن طريقه البيهقي، وذكر الحاكم أن جمعاً من رواته جربوه فوجدوه حقاً.

قال الحاكم قد جربته فوجدته حقاً، وذكره الحافظ المنذري رحمه الله تعالى في الترغيب والترهيب، وقال بعد أن ضعف سنده والاعتماد في مثل هذا على التجربة لا على الإسناد، وهذا العمل منهم لا شبهة فيه وهو موافق للمقرر عندهم في المصطلح وعلوم الحديث، وذلك أنهم قرروا أن الراوي الضعيف الواهي قد يصدق، ويأتي بالحديث على وجهه فإذا ثبت ما يدل على صدقه، ورواية الحديث على وجهه صح حديثه وعمل به.

ولكن تلك العلامات والإمارات التي يثبت بها صحة حديث الراوي الضعيف تحتاج إلى بصيرة قوية وفكر وقاد وذلك لا يتوفر عند كل الناس ولهذا تجد بعض الحفاظ يعتمد في التصحيح والتضعيف على الرؤيا في المنام وشرح ذلك له مكان آخر.

على أن هذا الباب - أعني المعجزات- يكفي فيه الحديث الضعيف الذي لم يبلغ درجة الوضع، ولو مع تفرد روايه وعدم المتابع له.

لأن المعجزات النبوية والخصائص المحمدية قد اتفق أهل العلم على العمل فيها بالضعيف، بل ربما ذكروا الواهي والموضوع كما يدل على ذلك صنيعهم في الكتب المصنفة في المعجزات والخصائص والشمائل والسيرة، كما أشار إلى ذلك الحافظ العراقي في ألفية السيرة (وليعلم الطالب أن السيرا تجمع ما صح وما قد أنكرا).

وقال الحلبي في مقدمة سيرته (٣/١) ولا يخفى أن السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون الموضوع. ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله: (وليعلم الطالب أن السيرا تجمع ما صح وما قد أنكرا).

وقد قال الإمام أحمد وغيره من الأئمة إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا، وفي الأصل والذي ذهب إليه كثير من أهل العلم الترخيص في الرقائق وما لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الأحكام بها ا.هـ.

قلت لأن الأحاديث الواردة في المعجزات والسيرة وإن كانت ضعيفة وربما يكون بعضها واهياً لكنها لا تخرج عن كونها في موضوع تشهد له الأصول الصحيحة وتقره ولا تدفعه.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في ترجمة لهيب بن مالك اللهبي من الاستيعاب بعد أن ذكر له خبراً في الكهانة يتعلق بإعلام النبوة ما نصه: إسناد هذا الحديث ضعيف، ولو كان فيه حكم لم أذكره لأن رواته مجهولون، وعمارة بن زيد متهم بوضع الحديث، ولكنه في معنى حسن من أعلام النبوة، والأصول في مثله لا تدفعه بل تصححه، وتشهد له والحمد لله ا.هـ.

وأنا لا أذكر حديثاً بهذه الدرجة إن شاء الله تعالى في هذه الأربعين بل غايته أن يكون من الضعيف المنجبر كما قلت سابقاً، وهذا لا حرج في العمل به، وأذكره ولو مع غير بيان حاله جائز سائغ.

وقد احتج الفقهاء بالضعيف في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، وبنوا عليه كثيراً من الفروع في العبادات والمعاملات فكيف بموضوعنا هذا الذي يذكر فيه الحافظ حتى الموقوف على الصحابي، والمقطوع المروي عن التابعي لأنه وإن لم يكن مرفوعاً لكنه في حكم المرفوع لأنه لا مجال للرأي فيه، ولا يدخل فيه الاجتهاد والنظر، وإنما لم يقع منهما التصريح برفعه، أما لكونه معلوماً عندهم أن ذلك لا يكون إلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما كونه وقع أثناء المذاكرة والمحادثة والغالب في ذلك يقع غير مصرح فيه بالرفع، كما يعلم ذلك من قرأ كتب السنة المشرفة.

وبعد هذه المقدمة نذكر الأحاديث الأربعين فنقول ومن الله تعالى المعونة والتوفيق.

الحديث الأول

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ولا من الإسلام إلا اسمه يتسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة، وإليهم تعود".رواه الحاكم في التاريخ، وروى الديلمي من حديث معاذ بن جبل نحوه، ورواه ابن مردويه من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ يذهب الإسلام فلا يبقى إلا اسمه، ويذهب القرآن فلا يبقى إلا رسمه، ورواه ابن بطة في جزء الكلام على الخلع عن علي موقوفاً عليه، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا وعلقه البخاري في خلق أفعال العباد "١٠٨" فقال: ويذكرون عن علي: "يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، ولكن ورد من طريق آخر عن علي عليه السلام مرفوعاً ولفظه يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي

خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم خرجت الفتنة وفيهم تعود". رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب، وهذا الحديث إن لم يكن حسناً فلا ينزل عن الضعيف المنجبر وله طرق أخرى وشواهد كثيرة.

الحديث الثاني

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" لا تقوم الساعة حتى يكفر بالله جهراً، وذلك عند كلامهم في ربهم". رواه الحاكم في التاريخ. والطبراني في الأوسط، ورواه أبو نصر في الإبانة، والديلمي من حديثه أيضاً بلفظ لا تقوم الساعة حتى يكون خصومهم في ربهم **قلت**: ورواه ابن سعد في الطبقات ١١٣/٥ والدارمي في الرد على الجهمية (٢٦١) عن محمد بن الحنفية من قوله بلفظ لا تذهب الدنيا حتى تكون خصومات الناس في ربهم، ورواه الدارمي عنه أيضاً بلفظ إنما تهلك هذه الأمة إذا تكلمت في ربها، وهذا له حكم المرفوع فإن مثله لا يقال بالرأي فهو شاهد لحديث الباب.

وقد تحقق ما أخبر به بعد أن انتشرت الشيوعية في البلاد الإسلامية واعتنقها الشباب الملحد وصار يعقد المناظرات في النوادي في الكلام حول وجود الله تعالى، وذلك كفر نسأل الله تعالى العافية، بل ويوجد في المدارس الحكومية عدد كبير من المعلمين الشيوعيين اللذين يطلبون من تلامذتهم الدليل على وجود الله تعالى لأجل إفساد عقيدتهم كما هو معلوم لكل أحد.

الحديث الثالث

عن مرة البهزي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:" لا تزال طائفة على الحق ظاهرين على من ناوآهم وهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". رواه الطبراني، والحديث متواتر ورد عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولكن وقع في هذا اللفظ بيان حال هذه الطائفة في هذا الوقت حيث أنها بين أهله كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالإناء بين الأكلة، لا يترك أحد منهم النيل من عرضهم، والطعن فيهم وإذا يتهم بشتى أنواع الإذاية، ولا ذنب لهم عندهم يوجب ذلك إلا كونهم على صراط الله تعالى المستقيم يمشون على هديه ويدعون إليه ومع ذلك لا يضرهم ذلك ولا يردهم عما هم عليه من الجهر بالحق في وجه أعدائه والدعوة إليه في السراء والضراء، وسيبقون على ذلك إلى أن يأتي أمر الله تعالى، كما في الحديث.

الحديث الرابع

عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:" كيف أنتم إذا طغت نساؤكم، وفسق شبابكم، وتركتم الجهاد؟ قالوا إن ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم وأشد منه سيكون كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر؟ قالوا وكائن ذلك قال نعم، وأشد منه سيكون كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً، ورأيتم المنكر معروفاً؟ قالوا وكائن ذلك.قال وأشد منه سيكون قال كيف إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا وكائن ذلك قال وأشد منه سيكون. يقول الله تعالى "بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران"" ذكره ابن أبي حاتم في العلل وسنده لا بأس به، ورواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مختصراً، ووقع عند ابن وضاح في البدع (٦٠) بزيادة وكثر جهالكم، والحديث ينطبق على هذا العصر تمام المطابقة لمن تأمل لفظه ونصه، والأمر لله وحده.

الحديث الخامس

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموه قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن".رواه

البخاري ومسلم، وله طرق كثيرة عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بحيث يمكن أن يكون بها متواتراً.

وفيه معجزة باهرة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فإن الناس اليوم اتبعوا الأوربيين في كل صغيرة وكبيرة من أمورهم حتى فيما فيه الحرج والضيق والعسر من ذلك، وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لو دخلوا جحر ضب لتبعتموه، ومعلوم أن جحر الضب أضيق جحور الحيوان، وحال الناس اليوم في التقليد الأعمى للأوروبيين يشرح هذا الحديث شرحاً كافياً، وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر في بيان الحرص الذي وقع من الناس اليوم في إتباع الكفار في جميع شؤون حياتهم حتى انسلخوا من جميع مظاهر الإسلام، وأثار العروبة في منازلهم وملابسهم وأكلهم وشربهم، أخبر عن هذا بقوله:"ولتركبن سنن الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل لا تخطئون طريقهم ولا يخطئنكم حتى أنه لو كان فيهم من يأكل العذرة رطبة أو يابسة لأكلتموها"، وقال في حديث آخر:"وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم" كما رواه البزار والحاكم وصححه من حديث ابن عباس.

وقال في حديث آخر:" حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ويضحكون إليه". رواه الطبراني من حديث ابن مسعود، وقد ظهر ما أخبر به كما لا يخفي، وقال في حديث:"وحتى لو جامع أحدهم امرأته في الطريق لفعلتم". رواه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس، وهذا ظهر في كثير من الناس يخرجون نساءهم إلى أماكن الاختلاط ونوادي الفجرة، وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر رواه الطبراني بسند لا بأس به عن شداد بن أوس بأن هذا التقليد للأوروبيين وهذه المتابعة الدقيقة التامة في هديهم وسلوكهم لا تقع وتحصل إلا من شرار هذه الأمة والعياذ بالله. فليتأمل المغرور بتقليد الأجانب في هذا الخبر وليعلم أنه من شرار هذه الأمة، وإن قالت له نفسه إنك على خير ومن أهل الخير.

ولفظ الحديث:"ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة يعني مثل ريش السهم في عدم التخالف بينها" وورد في حديث آخر ذكره ابن تيمية في الفتاوي الكبرى:"خيار عجمكم المتشبهون بعربكم وشرار عربكم المتشبهون بعجمكم"، فليجتهد المشفق على نفسه في الخروج من وعيد هذا الخبر إن كان على سنن من قبله. أعاذنا الله تعالى من الشر.

الحديث السادس

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" لتغشين أمتي فتن يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه". رواه نعيم بن حماد في الفتن.

وهذا الحديث فيه الإخبار بما وقع في هذا الوقت من موت القلوب عن إتباع طريق الهدى والرشد رغم ما تسمع من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية وذلك بسبب الران الذي علاها من كثرة الفجور، والخروج عن شريعة الله تعالى، حتى أنك تجد الرجل الهرم ذا السن العالية والشاب الحدث الأرعن على وتيرة واحدة، وسلوك واحد في الخروج عن الدين وعدم التفريق بين الحق والباطل، وذلك لا يكون - والعياذ بالله- إلا من موت القلب وهلاكه كما يموت البدن ويهلك حتى لا يمكن الانتفاع به في شيء وقد قال حذيفة فيما رواه ابن شيبة:" والله لتركبن الباطل على الحق حتى لا ترون من الحق إلا شيئاً خفياً".وهذا حال الناس اليوم تماماً.

وقد يكون المراد بموت القلب في الحديث الموت الحقيقي وذلك ما وقع اليوم من نزع القلب المريض من جسد صاحبه وإبداله بقلب آخر كما هو معلوم، وبذلك يكون القلب الأصلي قد مات وعطل عن عمله كما يموت البدن،

وفي هذا أيضاً معجزة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم في الإخبار بأحوال هذا العصر وشرح أحداثه التي ظهرت فيه.

وقال الإمام أبو عبد الله ابن أبي جمرة في (بهجة النفوس) ج/٤/٥٢ وقد يكون موته حقيقياً والله أعلم والقدرة صالحة أن يكون حسياً، أو يكون معنوياً فإنه إذا لم ينتفع بقلبه في النوع الذي أريد منه. وتوالت عليه الشهوات حتى لا يرى إلا هي فذلك موت الخ كلامه فأنظره فإنه مفيد.

الحديث السابع

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"يأتي على الناس زمان وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين لا يرعون عن قبيح إن بايعتهم أربوك و إن ائتمنتهم خانوك، صبيهم عارم، وشابهم شاطر، وشيخهم لا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، الاعتزاز بهم ذل، وطلب ما في أيديهم فقر،الحليم فيهم غاو، والآمر فيهم بالمعروف متهم، المؤمن فيهم مستضعف، والفاسق فيهم مشرف، السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة، فعند ذلك يسلط عليهم شرارهم ويدعو خيارهم فلا يستجاب لهم". رواه الطبراني في الأوسط والصغير والخطيب في تاريخه من طريقه، وفيه وصف بالغ للناس اليوم وسقوط أخلاقهم وبيان خلق الشيخ الكبير منهم الذي لا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر كما تراه بعينك.

وخلق شابهم الشاطر الذي أعيا أهله خبثاً ولؤماً، وهذا معنى الشاطر في اللغة، وكذلك وصف صبيهم بأنه عارم أي شرس وقح كثير الأذاية كما تراه من صبيان هذا الزمان في الشوارع والطرقات وفي كل مكان والمقصود أن أخلاق جميع أهل هذا الوقت فاسدة خارجة عن آداب الإسلام ولهذا قال فيهم لا يرعون عن قبيح. ومن أعظم ذلك أنهم لا يبايعون أحداً إلا أربوه أي عاملوه بالربا المحرمة، وهذا البيع قد صار لازماً لكل أحد في هذا الوقت. والبنوك ما وجدت إلا لأجل المعاملة بالربا بين التجار. نسأل الله السلامة.

الحديث الثامن

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عارا ويكون الإسلام غريباً، وحتى تبدو الشحناء بين الناس". رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني وأبو نصر السجري في الإبانة وابن عساكر، وقال الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ولا بأس بسنده **قلت**: والواقع يشهد لصحته، وأن راويه صدق فيه وضبطه. فإن كتاب الله تعالى صار عند الخاص والعام عاراً ولهذا أعرضوا عن تعلمه، وتعليمه وعطلت الكتاتيب القرآنية لعدم وجود من يدخلها من الأطفال، لأن الآباء يرون في تعليم القرآن لأولادهم ضياعاً لمستقبلهم، وإهانة لهم بين الناس لأنهم لا يحسنون ما ينفعهم من العلوم العصرية.

حتى قال بعضهم لما قيل له علم ولد القرآن، لا أريد أن أجعله يسأل الناس في أبواب المقابر ويتبع الجنائز... وهذا منتهى ما يكون من العار والإهانة لكتاب الله تعالى وحامله، وبسبب ذلك صار الإسلام غريباً لأن القرآن هو الإسلام فمنه تؤخذ أحكامه وحدوده، فإذا ذهب القرآن صار الإسلام غريباً، لا يقام له شأن، ولا يعلم له حكم كما هو الحال الآن، وعلى أهل هذا العصر المظلم الفاسد ينطبق قوله تعالى:"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"(الفرقان آية:٣٠).

وأما الشحناء الكائنة بين الناس فأمرها ظاهر معلوم لكل أحد، فالمودة ارتفعت والأخوة ماتت، وإذا رأيت اثنين متآخين فإنما هو في الظاهر وأما باطنهما ففي شقاق واختلاف كما وصف ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر:" إخوان العلانية أعداء السريرة لرغبة بعضهم في بعض، ورهبة بعضهم من بعض". يعني أن تلك

الأخوة الظاهرة إنما سببها أمران: إما رغبة أحدهما في الآخر لأمر يطمع في قضائه من جهته وإما رهبة منه وخوفاً أن يناله مكروه من جهته في أمر من أمور حياته ومعاشه، وهذا هو الواقع بين الناس اليوم، وأما الأخوة الإسلامية والمودة الدينية فلا يوجد لهما ذكر لأن الناس ليسوا من أهل الدين وأتباع الإسلام.

الحديث التاسع

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"ستكون فتنة يفارق الرجل فيها أخاه وأباه تطير الفتنة في قلوب رجال منهم إلى يوم القيامة حتى يعير الرجل بصلاته كما تعير الزانية بزناها". رواه نعيم بن حماد في الفتن، والطبراني بسند لين، ومعنى الحديث ظاهر وحال المجتمع يشرحه، فإن العائلة الواحدة اليوم مختلفة كل الاختلاف، كل فرد منها يعتنق رأياً، ويتبع مذهباً. فوقع بينهم بسبب ذلك الفرقة والخلاف الذي قد يؤدي في بعض الأحيان إلى الضرب باليد، والنزوح عن الدار، والسكنى في عزلة عمن يخالفه، ويقع هذا كثيراً بسبب النزاعات الحزبية، أو الخلافات المذهبية المبنية على التعصب للأشخاص والانتصار لهم بحق أو بباطل كما نرى ذلك كثيراً ممن يدعي العمل بالسنة ويعتنق في ذلك قول شخص معين في أمر لا يبلغ من الحرمة أو الوجوب ما يزعم ويدعي ذلك الشخص. فإذا وقع الرد عليه في ذلك تعصب له تابعه وانتصر له بالحمية الجاهلية وقد يتفق أن يكون ذلك المعترض والد ذلك المتعصب أو أخاه لأبيه وأمه فيقع بينهما من النزاع ما لا يجيزه دين الله تعالى وهذا شاهدناه، ولا زلنا نشاهده وإلى الله ترجع الأمور، وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن بعض هؤلاء المفتونين تتمكن الفتنة من قلوبهم فلا يرجعون عنها بموعظة ولا تذكير إلى أن يموتوا وهم على ذلك، والعياذ بالله، وأما تعيير الرجل بصلاته كما تعير الزانية بزناها فهذا هو المشاهد المعلوم بين أغلب الشباب اليوم لا سيما إن كان مثقفاً ثقافة أفرنجية. فإنه ينظر إلى الصلاة وإلى أهلها كما ينظر الرجل الشريف العفيف إلى الزنا والزانية.

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"يقول يأتي على الناس زمان يخير فيه الرجل بين العجز والفجور فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور". رواه أحمد وأبو يعلى، والبيهقي والحاكم، وهذا الزمان هو زماننا هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله، فمن أراد أن يكون فيه ظاهراً بين أهله له مكانة بينهم ومنزلة فليظهر من الفجور ما يزيد على ما هم فيه اعتقاداً وعملاً. فعلى قدر ما تظهر من ذلك يكون لك الظهور بينهم ويسمونك (تقدمياً) فشهادة التقدم عند أهل هذا العصر هو الإلحاد والفجور والفسوق، وأما إذا عملت جهدك في الوقوف عند حدود شريعة الله تعالى، والبعد من الحرام، واتبعت الأمر الذي جاء به الدين، فذلك عندهم علامة العجز والتأخر الفكري وعدم النضج وحب الخمول، فلذلك لا يقربونك ولا يكرمونك ولا يجالسونك، لأنك متأخر في نظرهم لا تتخلق بروح العصر، وقد أخبرني شاب من طلبة الجامعة في الرباط أن بنتاً دعت شاباً لنفسها فأبى وقال لها إني أخاف الله تعالى فما كان منها إلا أن بزقت في وجهه وقالت له (متأخر)، وهذا حال الأغلب وقد أرشدنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الناصح الأمين إلى أن نختار في هذا الزمان العجز الذي هو التمسك بدين الله تعالى وطاعة أمره ونهيه على الفجور الذي هو التقدم في الفسوق والكفر والإلحاد.

الحديث الحادي عشر

عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"لا تذهب الأيام والليالي حتى يخلق القرآن في صدور أقوام من هذه الأمة كما تخلق الثياب ويكون ما سواه أعجب لهم ويكون أمرهم كله طمعاً لا يخالطه خوف إن قصر عن حق الله تعالى منّته نفسه الأماني وإن تجاوز إلى ما نهى الله تعالى عنه قال:

أرجو أن يتجاوز الله عني يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أفضلهم في أنفسهم المداهن الذي لا يأمر ولا ينهى". رواه أبو نعيم في الحلية، ومعناه ظاهر ومطابقته لأحوال هذا العصر وأهله، بادية لكل لبيب، فعلى العاقل أن يتأمل ما يوجد فيه من هذه الأخلاق الدنيئة المذكورة في هذا الحديث فيعمل جهده على البعد منها والإقلاع عنها، فليس فيها خلق مرضي يحبه الله ورسوله، لا سيما المداهنة وعدم الجهر بالحق أمام الناس ليكسب رضاهم كما هو حال أهل العلم اليوم.

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" يمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردة وخنازير، قالوا يا رسول الله يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قال بلى ويصومون ويصلون ويحجون. قيل فما بالهم، قال اتخذوا المعازف والدفوف والقينات. فباتوا على شربهم، ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير". رواه ابن أبي الدنيا، وهو حديث له طرق كثيرة لا يبعد أن يبلغ بها درجة التواتر، وهو يخبر بحال ما ظهر، وانتشر في كل بلد وبين كل الطبقات من اتخاذ المغنيات في الحفلات والأعراس، ومحلات الفساد ليطربن الرجال مع استعمال الخمر والرقص كما ورد في لفظ آخر عن عائشة: يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف. قالت يا رسول الله وهم يقولون لا إله إلا الله. فقال: إذا ظهرت القينات وظهر الزنا وشُربت الخمور ولُبس الحرير كان ذا عند ذا، وفي لفظ آخر ليمسخن قوم وهم على أريكتهم قردة وخنازير بشربهم الخمر وضربهم بالبرابط والقيان.

والحديث يفيد أن المسخ يقع في هذه الأمة وسببه ظهور ما أخبر به الحديث من اتخاذ المغنيات في حفلات الرجال وشرب الخمر والمعازف قال ابن القيم في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢٨٤/١) وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة وهو مقيد بأصحاب الغناء وشاربي الخمر، وفي بعضها مطلق ا.هـ. **قلت:** والمطلق يحمل على المقيد كما هو معلوم.

والمسخ لا بد أن يقع كما تواترت به الأخبار لأصحاب هذه الأعمال كما وقع غيره من الخسف، والقذف فلا ينبغي القول بغيره.

وورد أيضاً أن العلماء سيمسخون قردة وخنازير بسبب مخالفتهم لما علموا بل ومعارضتهم لدين الله تعالى لأجل الناس كما روى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يكون في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير". وسنده لا بأس به قال الترمذي فالمسخ تغير الخلقة عن جهتها وإنما حل بهم المسخ لأنهم غيروا الحق عن جهته وحرفوا الكلم عن مواضعه فمسخوا أعين الخلق وقلوبهم عن رؤية الحق فمسخ الله صورهم وبدل خلقهم كما بدلوا الحق باطلاً ا.هـ.

قلت: وهذا هو الحق فلا يوجد اليوم من أضل الناس عن طريق الهدى اعتقاداً وعملاً وزين لهم الدنيا وكره إليهم طريق الآخرة مثل العلماء وأشباه العلماء وحتى لو لم تمسخ صورتهم فإن قلبهم بعملهم هذا قد مسخ تماماً وصار في عداد الممسوخين عقوبة لهم. كما روى ابن المبارك في الزهد (٥٣٢) عن مالك بن دينار. قال: سألت الحسن عن عقوبة العالم قال: موت القلب. قال: وما موت القلب. قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة، فأخبر الحسن أن إقبال العالم على الدنيا علامة على موت قلبه وذلك مسخه، وقال مالك بن دينار: بلغني أن ريحاً تكون في آخر الزمان وظلم فيفزع الناس إلى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا. نسأل العافية من غضبه بفضله.

الحديث الثالث عشر

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"يا علي كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا وأكلوا التراث أكلاً لما وأحبوا المال حُباً جماً واتخذوا دين الله دخلاً ومال الله دولاً قلت اتركهم وما اختاروا واختار الله ورسوله والدار الآخرة واصبر على مصائب الدنيا حتى ألحق بك إن شاء الله. قال صدقت. اللهم افعل به ذلك ". رواه الثقفي في الأربعين بسند فيه ضعف، ولكن مطابقته للواقع أكبر شاهد على ثبوته، وحال الناس اليوم لا يخرج عما وصفهم به الحديث قيد شعرة.

الحديث الرابع عشر

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"سيكون في آخر أمتي زمان يزخرفون مساجدهم، ويخربون قلوبهم، يتقي أحدهم على ثوبه ما لا يتقي على دينه لا يبالي أحدهم إذا سلمت له دنياه ما كان من أمر دينه". رواه الحاكم في تاريخ نيسابور **قلت**: وزخرفة المساجد صارت هي شعار الناس في بناء مساجدهم فإنهم يزخرفونها كما يزخرف الملوك القصور وذلك علامة على انحطاطهم في دينهم، وخروجهم عن سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك ورد ما ساء عمل قوم إلا زخرفوا مساجدهم، وورد أيضاً إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم، وفي هذا الوقت الذي اشتغل فيه الناس بزخرفة المساجد صاروا لا يتقون ما يفسد دينهم من أقوال وأعمال بل تجدهم كما قال الحديث همهم الأكبر هو المحافظة على دنياهم والعمل على سلامة ما يملكون منها والزيادة فيه، وإن أدى ذلك إلى فساد الدين نسأل الله تعالى الصون والتوفيق.

الحديث الخامس عشر

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال من حلال أم من حرام". رواه أحمد والبخاري، وهذا حال أغلب الناس اليوم يجعل كل واحد منهم همه في الوصول إلى الثراء والحصول على المال بأي طريق كان. فلذلك استباحوا التجارة بالخمر بيعاً وعصراً واتخذوا مواخير الفساد، وإدارة دور البغاء، وبنوا البنوك التي أمرها مبني على الربا، وصار الكثير من أهل هذا العصر يُربي الخنازير ليبيعها ويتخذ لها الأماكن الخاصة لرعايتها إلى غير هذا من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة التي لم يكن يخطر في بال مسلم قبل هذا أن يتخذها من يدعي الإسلام وسيلة لجمع المال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"صنفان من أهل النار لم أرهما بعد. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا". رواه أحمد ومسلم في صحيحه، وهذا الحديث فيه معجزة باهرة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم، تخضع لها الرقاب، وتخشع لسمعها القلوب فإننا الآن نرى نساء العصر بالهيئة التي وصفهن بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك لا نستطيع أن نصفهن بهذا الوصف البليغ البالغ في وصفهن لأنه صلى الله عليه وآله وسلم رآهن على حالهن هذه وهن يعذبن في النار وكذلك وقع في الحديث وصف رجال البوليس الذي يتعرضون لضرب الناس في الطرقات على غير جريمة ولا ذنب يوجب ذلك، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر في شأنهم:"سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله فإياك أن تكون من بطانتهم" رواه الطبراني من حديث أبي أمامة، وإنما كان لهم هذا الوعيد لأن ظهر المؤمن حمى فلا يحل تناوله بضرب وإذاية إلا في حق من حقوق الله

تعالى، وأما لمجرد كونه لم يمتثل الأمر في الوقوف أو المرور مثلاً، فلا يجوز ضربه لأجل ذلك، ولهذا قال العلماء لا يجوز لشرطي أن يؤدب أحداً بقول أميره حتى يعلم أن ذلك حق عليه بأمر الله واجباً، انظر بهجة النفوس لابن أبي جمرة ٢٥٦/٤/ ومن هنا تعلم شدة محافظة ديننا الحنيف على حقوق الإنسان وأنه عظم شأن الاعتداء على الناس إذا لم يكن ذلك في حق مشروع من عند الله تعالى، وأما في سوى ذلك فلا يجوز الاعتداء على الغير، والنيل من حقه في الحياة وكرامته التي خولها الله تعالى له ولو بإذن الأمير لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولما بويع عمر رضي الله تعالى عنه صعد المنبر وخطب وقال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله وإلا فلا سمع لي عليكم ولا طاعة، ولجهل الناس بدينهم وإعراضهم عن تعاليمه السامية الغالية صاروا يظنون أن حقوق الإنسان لم يظهر الدفاع عنها إلا الأوروبيون مع أن ديننا جعلها من مبادئ ما يجب العمل به في نظام الحكم حتى أباح للموظف في الحكومة الإسلامية أن يخالف رئيسه إذا أمره بالاعتداء على أحد فيما لم يشرعه الله تعالى، وهذا التشريع العظيم المتعلق بحقوق الإنسان لا تجده إلا في الإسلام لأنه جعله فرضاً واجباً وحتماً لازماً لا يجوز لحاكم الخروج عنه، وإذا أمر بخلافه فلا يطاع مع أن الأوروبيين لم يصل بهم الأمر في الدفاع عن حقوق الإنسان إلى هذا الحد الذي يحد من تصرف الحاكم في الاعتداء على حقوق الإنسان، وإنما غاية أمرهم في ذلك التدخل لدى الإدارة الواقع منها ذلك عن طريق الترغيب وتقديم الشفاعات لأنهم لا يجدون لديهم قانوناً يمنع الحاكم من الاعتداء على حقوق الإنسان، ولو بلغ هذا الاعتداء في الإذاية والتسلط والنكاية ما بلغ، فلينتبه لهذا المسلمون وليرجعوا إلى ذخائر كنوز الإسلام التي غفلوا عنها بل تنكروا لها حتى صاروا يرون غيرهم أفضل منهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحديث السابع عشر

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"ليأتين على الناس زمان قلوبهم قلوب العجم، قيل وما قلوب العجم. قال حب الدنيا سنتهم سنة الأعراب ما أتاهم من رزق جعلوه في الحيوان يرون الجهاد ضرراً، والزكاة مغرماً" رواه الطبراني وسنده حسن، وهو ظاهر الدلالة على ما عليه الناس اليوم من الأخلاق المنافية لهدى الإسلام، وعزته وكرامة شريعته من الوقوف في وجه كل من يريد النيل من الدين، والتصدي لكل معتد على أحكامه، فقد صار عندهم النضال ومواجهة أعداء الإسلام ضرراً على دنياهم ومصالحهم الفانية لأنهم اتخذوا الضيعات لتربية البهائم والتجارة فيها فما من أحد يفتح الله تعالى عليه بشيء من المال إلا جعله في البهائم وبذلك صاروا متبعين لسنة الأعراب وأهل البادية، وتركوا مع ذلك الزكاة لأنهم يرونها غرامة.

الحديث الثامن عشر

عن كيسان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"ستشرب أمتي من بعدي الخمر يسمونها بغير اسمها يكون عونهم على شربها أمراؤهم". رواه ابن عساكر في التاريخ وورد من طريق عدد من الصحابة في سنن أبي داود وابن ماجه ومستدرك الحاكم ومعجم الطبراني والحلية لأبي نعيم وغيرها من كتب السنة وهو حديث صحيح، وإنما ذكرته هنا من رواية ابن عساكر في التاريخ لأن فيه زيادة قوله يكون عونهم على شربها أمراؤهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أخبر بالحال الواقع اليوم من تسمية الخمر بأسماء مختلفة تقليداً للأوروبيين في ذلك حيث وضعوا لكل نوع منها اسماً خاصاً حتى صار من لا دين له يستبيح الخمر محتجاً بأن الله تعالى حرم الخمر، وهذه لا تسمى خمراً أقول بعد أن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الأمر الواقع اليوم أضاف إليه أمراً آخر وقع اليوم كذلك، وهو أن هذه الخمر تشرب ويعين على شربها في الشوارع، والمجالس العامة، والحفلات الحكومات حيث أباحت عصر الخمر، وأباحت التجارة فيها، وشرعت القوانين التي

تحمي شاربيها والتاجر فيها من أي اعتداء بحيث لا يستطيع أحد أن يتعرض لمتعاطي الخمر بأي نوع من الإنكار والاعتراض كما هو الحال في الذي يصلي، والداخل إلى المسجد، فكما للمصلي الحق في أداء صلاته كذلك للفاسق الحق في شربه الخمر علانية، وبيعها وعصرها بدون أن يخاف من اعتراض معترض أو إنكار منكر، فأعجب لهذه المعجزة النبوية العظيمة التي ما ظهرت إلا في هذا العصر المظلم.

الحديث التاسع عشر

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"سيكون قوم بعدي من أمتي يقرؤون القرآن ويتفقهون في الدين، يأتيهم الشيطان فيقول لو أتيتم السلطان فأصلح من دنياكم، واعتزلتموهم بدينكم ولا يكون ذلك كما لا يجتني من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتني من قربهم إلا الخطايا". رواه أبو القاسم البغوي وابن عساكر. القتاد: شجر الشوك الذي لا ثمر فيه مطلقاً، أخبر الحديث بما وقع فيه كثير من أهل العلم من الدخول في سلك الوظائف الحكومية لأجل إصلاح معاشهم كما أفتاهم الشيطان بذلك، ولكن لما دخلوا زاغوا عن الطريق المطلوب من العالم سلوكه ولم يستطيعوا الجمع بين موقف العلم وموقف الموظف المأجور، فمالوا مع الأجرة العاجلة، وصاروا يؤيدون الفساد بجميع ألوانه وأشكاله ومظاهره، إما بقولهم وإما بسكوتهم الذي يدل على التأييد والموافقة حرصاً منهم على سلامة دنياهم، فلعب بهم الشيطان حيث زين لهم الدخول في الوظائف الحكومية لإصلاح حال المعاش مع المحافظة على الدين، وذلك لا يكون ويستحيل أن يكون لأنه كما لا يجتني من شجر الشوك إلا الشوك كذلك لا يمكن الجمع بين طريق الدنيا وسبيل الآخرة.

الحديث العشرون

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"لا تقوم الساعة حتى يتغايروا على الغلام كما يتغاير على المرأة". رواه الديلمي، وقد تحقق هذا في عصرنا هذا وصار المبتلون باللواط يغارون على من يفعلون به الفاحشة كما يغار العشاق على محبوبتهم الجارية وقد رأينا وسمعنا من مثل هذا كثير مما يشهد لثبوت الحديث بل وقع ونحن بمصر أن طالباً من طلبة العلم بالأزهر ضرب آخر مسدس لأنه اعتدى على غلامه الخاص به، وكذلك سمعنا أيضاً بطنجة عن جماعة وقع بينهم النزاع والشقاق لأجل غلام يدعي كل واحد منهم اختصاصه به، وأعرف رجلاً خاصم أصحابه وهجرهم لأجل ذلك أيضاً، بل صار من المعروف المعلوم بين الناس أن الرجل من هؤلاء يعقد اتفاقاً مع الغلام كتابة كعقد الزواج ويقوم بالنفقة عليه ليبقى خاصاً به حتى بلغني عن بعضهم أنه عقد مع ولد اتفاقاً كهذا وكتبه بدمه زيادة في الدلالة على حبه فيه وهيامه به، وهذا أيضاً وقع الإخبار به في الحديث الذي رواه الديلمي عن أبي هريرة مرفوعاً:"يأتي على الناس زمان يتزوج الغلام كما تتزوج المرأة"، وأما في أوروبا فقد أصبح هذا الزواج الشاذ من الأمور التي لا اعتراض عليها من أحد بل عرض القانون بجوازه على البرلمان البريطاني فأقره، فما ترك صلى الله عليه وآله وسلم كبيرة وصغيرة من الأحداث التي تظهر إلى قيام الساعة إلا أخبر بها وبينها بياناً كافياً شافياً، وقد قال صلوات الله عليه:"أخوف ما أخاف على هذه الأمة عمل قوم لوط"، وقال:" لا تقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط"، وكل هذا يدل على انتشار اللوطية بين هذا الخلف الخاسر كما قال في حديث آخر رواه الطبراني عن جابر:"إذا كثر اللوطية رفع الله يده عن الخلق ولا يبالي في أي واد هلكوا".

الحديث الحادي والعشرون

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ قالوا ومتى ذلك يا رسول الله، قال: إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله عز وجل فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة، قالوا يا رسول الله أليس أمرتنا بالتزوج. قال بلى ولكن إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي قرابته وجيرانه، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فيوردونه الهلكة". رواه الخطابي في العزلة والبيهقي في الزهد، والرافعي ورواه أيضاً البيهقي في الزهد من حديث أبي هريرة، ورواه عبد الله بن المبارك عن الحسن مرسلاً، وهو وإن كان ضعيف السند لكن له شواهد ومطابقته للواقع من شواهده فإن أغلب الناس اليوم أورد نفسه موارد الهلكة في طلب المعيشة لأجل دفع التعيير من أقاربه وجيرانه بضيق ذات يده فيلج في طلب السعة في العيش بالوسائل المحرمة وهذا معلوم معروف مشاهد.

الحديث الثاني والعشرون

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"كيف بكم إذا كنتم من دينكم كرؤية الهلال لا يبصره إلا البصير منكم". رواه ابن عساكر والديلمي وسنده لا بأس به، وهذا ما وقع للناس اليوم فيما يتعلق بالرجوع إلى أحكام دين الله تعالى في شؤون حياتهم الخاصة والعامة، لا تجد أحداً منهم ينظر إلى حكم الدين فيما يقدم عليه من الأمور الخاصة والعامة كأنه غير مسؤول عند الله تعالى على ذلك، ولا تجد إلا الواحد بعد الواحد من يراقب شرع الله تعالى في شؤون حياته، كما هو الأمر في رؤية الهلال عند بزوغه لا يراه إلا البصير الحريص على رؤيته.

الحديث الثالث والعشرين

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد اللهم الأئمة واغفر للمؤذنين فقالوا يا رسول الله تركتنا ونحن نتنافس على الآذان، قال كلا وان بعدكم زماناً يكون مؤذنكم فيه سفلتكم"، وفي لفظ آخر:"انه يكون بعدي أو بعدكم قوم سفلتهم مؤذنوهم". رواه البزار والطحاوي في مشكل الآثار وسنده صحيح، وهذا الحديث من أعجب ما وقفت عليه من أخبار هذا الوقت لتحقق ما أخبر به في شأن المؤذنين من السقوط والسفالة إلى درجة يستحيى من ذكرها لما فيها من الأمور التي لا تليق بالذكر والعياذ بالله تعالى، وهذا شاهدته بنفسي وسمعته من غيري وما شاء الله تعالى فلا مرد له وقد ذكرت شرح ذلك في كتابي (المجلة النبوية).

الحديث الرابع والعشرون

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"إن من أعلام الساعة وأشراطها أن تكنف المساجد". رواه الطبراني، ومعنى الحديث أن المساجد تسور بالأسوار، والحظائر والحواجز كما هو الحال في الحدائق والقصور الفخمة، وقد ظهر هذا، فإن المساجد اليوم تبنى على هذه الصورة، وهي من كمال تشييدها وتزيينها كما ورد لتزخرفنها كما زخرفت النصارى كنائسها.

الحديث الخامس والعشرون

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"يُدّرس الإسلام كما يُدّرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة". رواه ابن ماجه والحاكم والضياء المقدسي والبيهقي في الشعب والحديث لا يحتاج إلى بيان ما فيه من أحوال الناس اليوم وموقفهم من أحكام الشريعة

وإعراضهم عنها إعراضاً كلياً بحيث صارت الأغلبية الساحقة منهم لا تدري من قواعد الإسلام شيئاً تماماً كأنه دُرس ورشي وانتهى أمره كما وصف الحديث.

الحديث السادس والعشرون

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطلق فيها الروييضة. قالوا وما الروييضة. قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة". رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وله طرق عن عدد من الصحابة وفي بعضها تفسير الروييضة بالرجل التافه كما هنا وفي أخرى بالفاسق وفي بعضها بالفويسق وفي بعضها بالذي لا يؤبه له، وكلها بمعنى واحد والمراد به الخسيس الخامل الذي لا يعرف بين الناس يتولى الشؤون العامة ويكون له أمر ونهي وسلطان ورأي مقدم كما ورد في حديث آخر:"وترى الحفاة العراة العالة الجوع رعاء الشاة رؤوس الناس"، وفي لفظ آخر:"ملوك الناس"، وهكذا الحال اليوم لمن تدبر وتأمل وإلى الله ترجع الأمور.

الحديث السابع والعشرون

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"سيكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر من الأرض". رواه أحمد، وقد ظهر هذا الآن في الذين يتخذون المدح، والدعاية في المحافل والمجالس العامة، وفي الإذاعات وسيلة للعيش وجمع المال، فهو يأكل بلسانه، يعني وسيلته الوحيدة في ذلك هي لسانه كما تأكل البقر من الأرض بلسانها بدون أن يباشر عضو آخر منها ذلك.

الحديث الثامن والعشرون

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لا ينجو فيه إلا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه ويده فذلك سبقت له السوابق". رواه الديلمي.

الحديث التاسع والعشرون

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار ويفتح القول، ويخزن العمل، ويقرأ بالقوم المثناة، ليس فيهم أحد ينكرها. قيل وما المثناة. قال: ما اكتتب سوى كتاب الله عز وجل". رواه الحاكم في المستدرك والطبراني، وقال الحاكم صحيح، وأقره الذهبي.

وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المثناة بأنها ما كتبه الناس سوى كتاب الله تعالى، وهي هذه القوانين الفاسدة التي صار الناس يتحاكمون إليها دون ما أنزل الله تعالى، وأجمعوا على ذلك شرقاً وغرباً بدون نكير أحد منهم.

وقد روى الحديث أبو عبيد في غريب الحديث ٢٨١/٤، وقال: سألت رجلاً من أهل العلم بالكتب الأول قد عرفها وقرأها عن المثناة فقال: إن الأحبار والرهبان من بني إسرائيل بعد موسى، وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تبارك وتعالى فسموه المثناة كأنه يعني أنهم أحلوا فيه ما شاءوا على خلاف كتاب الله تعالى ا.هـ.

قلت: وهذا الذي وقع في هذا العصر من وضع القوانين التي تحرم ما أحل الله تعالى وتحل ما حرم، على حسب الهوى والغرض بدون أن ينكر ذلك أحد، ولهذا كان الأمر عند وضع الأخيار، وارتفاع الأشرار، والتبجح بالكلام والشعارات الجوفاء بدون عمل.

الحديث الثلاثون

عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله". رواه أبو داود في سننه وفي الحديث الإخبار بإتباع الناس اليوم لكل ما يظهر من مذاهب وآراء وأهواء مخالفة لدينهم، وتمكن ذلك منهم كما يتمكن داء السعار - وهو الكلب- من المصاب به.

الحديث الحادي والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"يأتي على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن يجمعون حروفه، ويضيعون حدوده، ويل لهم مما جمعوا وويل لهم مما ضيعوا". رواه أبو نعيم.

الحديث الثاني والثلاثون

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً". رواه أحمد. قلت وقد خرجوا منه أفواجاً في هذا العصر، فما بقي أحد يعمل لأجل الدين أو يراقب الله تعالى في الشريعة، ولأجل ذلك وقعوا في إباحة المحرمات والموبقات المهلكات كبيراً وصغيراً وقد ورد في الحديث أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. نجد أمتك أسرع الناس إتباعا لك، وأوشك أن يكونوا أسرع الناس خروجاً عن دينك، نسأل الله تعالى السلامة.

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام فأولئك شرار أمتي". رواه الطبراني في الكبير والأوسط وهذا الحديث لا يحتاج إلى تنبيه على أن المراد به هو أهل هذا العصر الذين توسعوا في المأكولات والمشروبات والملبوسات إلى درجة لم تكن فيما أظن معهودة عند الفراعنة فضلاً عن المسلمين، وورد في حديث آخر:"شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم، وغذوا به يأكلون من الطعام ألواناً، ويلبسون من الثياب ألواناً، ويركبون من الدواب ألواناً يتشدقون في الكلام" إنما كانوا شرار الأمة لأن هذا الوصف خارج عن هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته الشريفة ولأنه يدعو إلى البطر والأشر والتكاثر والترفه وكل ذلك ليس من شريعة الإسلام.

الحديث الرابع والثلاثون

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"يأتي على أمتي زمان يحسد الفقهاء بعضهم بعضاً ويغار بعضهم على بعض كتغاير التيوس". رواه الحاكم في تاريخ نيسابور، والخطيب في تاريخ بغداد، وهذا الزمان المذكور في هذا الحديث هو زماننا هذا ففيه وقع ممن يدعي العلم من التحاسد، والتغاير إلى درجة الجنون وسفه العقل وقد رأيت رجلاً من هؤلاء إذا علم أن طالباً ممن يقرأ عليه ذهب للقراءة على غيره طرده طرداً، وأول ما يشترط على طلابه ألا يذهبوا إلى القراءة على غيره، وكل هذا حسداً وغيرة، ولهذا قال العلماء لا تجوز شهادة مثل هؤلاء على بعضهم بعضاً لأن كل واحد منهم لا يألو جهداً في تجريح صاحبه بكل ما سول له شيطانه ورميه بالعظائم لينفر الناس عنه، نعوذ بالله من السوء.

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"أن لهذا الدين إقبالاً وإدباراً ألا وإن من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا يبقى فيها إلا الفاسق أو الفاسقان ذليلان فهما إن تكلما قهرا

واضطهدا، وإن من إدبار هذا الدين أن تجفوا القبيلة بأسرها فلا يبقى فيها إلا الفقيه والفقيهان فهما ذليلان إن تكلما قهراً واضطهدا ويلعن آخر هذه الأمة أولها ألا وعليهم حلت اللعنة حتى يشربوا الخمر علانية حتى تمر المرأة بالقوم فيقوم إليها بعضهم فيرفع بذيلها كما يرفع بذنب النعجة فقائل يقول يومئذ ألا واريتها وراء هذا الحائط فهو يومئذ فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم فمن أمر يومئذ بالمعروف ونهى عن المنكر فله أجر خمسين ممن رآني وأطاعني وآمن بي وأطاعني وبايعني". رواه الطبراني، وهو وصف دقيق للمجتمع الذي يزعم أهله الإسلام مع أنهم في إدبار عنه كما دل على ذلك الحديث.

الحديث السادس والثلاثون

عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"بين يدي الساعة يلقى التناكر بين الناس فلا يكاد أحد يعرف أحد". رواه أحمد في مسنده وسعيد بن منصور في سننه وهذا ما وقع اليوم فبين عشية وضحاها ترى الرجل يتنكر لمن كان يصاحبه، ويعرض عنه إعراض العدو عن عدوه بدون سبب يوجب ذلك، وما ذلك إلا لفساد أخلاقهم وسوء طويتهم، وورد في حديث آخر عند الديلمي عن حذيفة أيضاً:"لا تقوم الساعة حتى تتناكر القلوب وتختلف الأقاويل ويختلف الإخوان من الأب والأم في الدين".

الحديث السابع والثلاثون

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"يأتي على الناس زمان علماؤهم فتنة وحكماؤهم فتنة تكثر فيه المساجد والقراء ولا يجدون عالماً إلا الرجل بعد الرجل". رواه أبو نعيم ومعنى الحديث أن من يدعي العلم ومعرفة الحكمة في هذا الزمان لا خير فيه بل هو فتنة لمن يقتدي به ويعمل بقوله كما هو الواقع ولهذا قال لا يجدون عالماً إلا الرجل بعد الرجل يعني العالم الصالح للقدرة والإتباع قليل بين هؤلاء المدعين للعلم وللحكمة المفتونين عن طريق الحق والهدى.

الحديث الثامن والثلاثون

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"يأتي على الناس زمان همتهم في بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهيمهم ودنانيرهم أولئك شر الخلق لا خلاق لهم عند الله تعالى". رواه الديلمي.

وهو زماننا هذا نعوذ بالله من شره، فهمة أهله هي ما وصفهم به الحديث وغايتهم من الحياة من التمتع بالملذات وسعيهم ليل نهار في جمع الدينار، والدرهم ونسوا بسبب ذلك دين الله تعالى وأعرضوا عن أحكام الشريعة، وانغمسوا في الرذائل، والقبائح لأجل بطونهم وفروجهم، إذا قالت المرأة لأحدهم قولاً لا يخالفها فيه، ولو كان في ذلك هلاك دينه ودنياه.

كما هو مشاهد من حالهم، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم:"لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة". فلهذا ولغير هذا لن يفلح أهل هذا الزمان، ولن يأت منهم خير في دينهم، وكرامة وعزة وشرف في دنياهم، لاتصافهم بالأوصاف البهيمية التي يكون صاحبها دائماً مملوكاً لغيره.

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"الزهد في زماننا هذا في الدينار والدرهم وليأتين على الناس زمان الزهد في الناس أنفع لهم من الزهد في الدنانير والدراهيم". رواه الديلمي. قلت لأن الناس اليوم أصبحوا كما وصفهم الحديث شوكاً لا ورق فيه فلا يمكن النجاة من آذاهم إلا بالزهد فيهم والبعد عنهم.

الحديث الأربعون

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"تكون فتنة النائم خير من المضطجع حتى لا يأمن الرجل جليسه". رواه الحاكم في المستدرك، وهذا الفتنة هي الواقعة الآن التي ارتفعت فيها الثقة من الناس وصار الرجل يكلم الآخر وهو على غير ثقة من أمانيه، وصدقه لأن الغالب على الناس اليوم الجاسوسية.

الحديث الحادي والأربعون

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"ما أخاف على أمتي فتنة أخوف عليها من النساء والخمر". رواه يوسف الخفاف في مشيخته.

وهذا آخر الأربعين والله تعالى أسأل أن يقبلها خالصة من كل رياء ويثيب عليها إنه سميع مجيب، وكان الفراغ منها عصر يوم الخميس منسلخ شعبان سنة ١٤٠٣هـ بطنجة.